تيارات الفكر الإسلامي المعاصر

أ. محمد محسن محمد محجوب[1]

الفصل الأول

التيارات السنية

معنى السنة في اللغة:

قال ابن فارس: "السين والنون، أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة"[2]. وسَنَّ الشيء ابتدأه، وسار عليه من بعده، فأصبح له سنة وعادة، قال شِمر: (وهو طريق سنَّه أوائل الناس فصار مسلكا لمن بعدهم) [3].

والسُّنَّة: بالضم وفتح النون المشددة في اللغة: الطريقة، والسنة: السيرة حميدة كانت أم ذميمة، والجمع سُنن.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» [4].

وقد تطلق في اللغة ويراد منها الطريقة الحسنة فقط، وهذا يقربنا من الدلالة الاصطلاحية لمفهوم أهل السنة:

---

(1) الباحث/ محمد محسن محمد محجوب: باحث دكتوراه بمعهد الدراسات الآسيوية- جامعة الزقازيق.

(2) معجم مقاييس اللغة 60/3 مادة (سنَّ).

(3) لسان العرب 226/13 (سنن).

(4) صحيح مسلم 704/2 ح 1017.

(ISSN : 2536 - 9555)

قال الأزهري: (والسُّنّة: الطريقةُ المستقيمة المحمودة، وَلذَلِك قيل: فلانٌ من أهل السنّة، وسَننتُ لكمْ سُنّة فاتبعوها)[5] وذلك لأن المراد بالسنة هنا هي سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي الطريقة المشروعة، وقد جاء في الحديث الشريف أيضا: «عليكم بسنتي» [6].

فيتحصل من التعريف اللغوي: أن السنة تطلق ويراد منها الطريقة حسنة أو سيئة، ولكن إذا قيدت بسنة النبي صلى الله عليه وسلم فإنها لا تنصرف إلا إلى الطريقة الحسنة.

السنة اصطلاحا:

نظرا لورود مصطلح السنة في عدد من العلوم فإن تعريفها سيختلف باختلاف موضوع كل علم، وهي كثيرة ومتنوعة، ولكن الذي يعنينا هو المفهوم الذي يشكل وحدة عقائدية في الجملة يندرج تحتها أرباب هذه العلوم ومن تبعهم من عموم المسلمين تميزهم عن غيرهم، ونشير أولا إلى أهم هذه التعريفات الاصطلاحية، ثم نتناول التعريف الذي يتعلق بالجانب الاعتقادي لبيان العلاقة البينية لمجموع هذه التعريفات.

فالسنة عند أهل الحديث والأثر: **(كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال والتقريرات والصفات الخلقية والخُلقية وما أضيف إلى الصحابي كذلك من قول أو فعل)** فهم ينظرون إليها من جهة الرواية أو الورود بغض النظر عن كونها في العقائد أو الأحكام أو الأخلاق، وعن مرتبها إباحة أو منعا.

(5) تهذيب اللغة للأزهري 210/12 مادة (سن).
(6) أخرجه أبو داود 7/ 16 ح 4607، والترمذي 4/ 341 ح 2676.

أما عند الأصوليين فهي: **(كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال والتقريرات)** وليست الصفات داخلة في تعريفهم فهم ينظرون إلى السنة من جهة ما يصلح منها للاستدلال والاستنباط، وليس للصفات في ذلك مدخل عندهم، وتسمى السنة عندهم **بسنة الدليل.**

أما عند الفقهاء فتطلق السنة في مقابل الفرض، فهي: **(ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه)** إذ أنهم ينظرون إلى مرتبة فعل المكلف في إطار الأحكام التكليفية الخمسة وهي: الوجوب، والاستحباب(السنة) على تفصيل عندهم في ذلك، والحرمة، والكراهة، والإباحة، وهي تسمى كذلك **بسنة الحُكم**، إلى غير ذلك من تعريفات أخرى للسنة هذه أشهرها [7].

تعريف السنة بمفهومها العقدي، والتي ينسب إليها طائفة من المسلمين يعرفون بـ(أهل السنة والجماعة).

المعني التركيبي لهذا اللقب يتكون من كلمتين (أهل) (السنة) ثم يعطف على السنة (الجماعة). أما (الأهل) فهي تطلق في الأصل ويراد منها أقارب الرجل، والجمع أهلون وأهالي، ثم توسعوا فيها فأصبحت تطلق على المشاركين للرجل في مذهب أو علم أو بلد.

قال ابن فارس: أَهْلُ الرَّجُلِ زَوْجُهُ. وَالتَّأَهُّلُ التَّزَوُّجُ. وَأَهْلُ الرَّجُلِ أَخَصُّ النَّاسِ بِهِ. وَأَهْلُ الْبَيْتِ: سُكَّانُهُ. وَأَهْلُ الْإِسْلَامِ: مَنْ يَدِينُ بِهِ. وَجَمِيعُ الْأَهْلِ أَهْلُونَ. وَالْأَهَالِي جَمَاعَةُ الْجَمَاعَةِ[8].

(7) وللتوسع في الوقوف على تعريفات السنة الاصطلاحية في العلوم انظر: "السنة وبيان مدلولها الشرعي" للشيخ المحقق عبد الفتاح أبو غدة، ط دار البشائر – بيروت، و"تاريخ مصطلح السنة ودلالته" للدكتور محمد خير فرج، ط دار البشائر الإسلامية – بيروت.
(8) معجم مقاييس اللغة 150/1 مادة (أهل).

(ISSN : 2536 - 9555)

وقال المناوي (أهل الرجل: من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو غير ذلك من صناعة وبيت وبلد وصنعة، فأهل الرجل في الأصل من جَمَعه وإياهم مسكنٌ واحد، ثم تجوز به فقيل: أهل بيته من يجمعه وإياهم نسب أو ما ذكر، وعبر عن أهله بامرأته، وفلان أهل لكذا أي خليق به) [9]. فإذا قلنا أهل السنة فالمراد (الجماعة المنتسبون إلى السنة).

تاريخ استعمال مصطلح أهل السنة بمفهومه العقدي، وتطوره.

إن من أقدم النصوص التي تفيد استعمال هذه التسمية كمصطلح يميز بين جماعة من المسلمين في العقائد وغيرها ما أخرجه الإمام مسلم عن محمد بن سيرين رحمه الله ت 110 هـ قال: (لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى **أَهْلِ السُّنَّةِ** فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ) (10). فكان هذا في زمن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه.

ويؤكد هذا ما ذكره ابن جرير الطبري في "تاريخه" عن مصعب بن عبد الله الزبير أن أباه عبد الله بن مصعب أخبره أن الرشيد قال له: (ما تقول في الذين طعنوا على عثمان؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين طعن عليه ناس وكان معه ناس، فأما الذين طعنوا عليه فتفرقوا عنه وهم أنواع: الشيع، وأهل البدع، وأنواع الخوارج، وأما الذين كانوا معه فهم أهل الجماعة اليوم، فقال لي – أي الرشيد –: ما أحتاج أن أسأل بعد هذا اليوم عن هذا) [11].

(9) التوقيف على مهمات التعاريف.
(10) صحيح مسلم – المقدمة – باب في أن الإسناد من الدين 15/1.
(11) تاريخ الرسل والملوك للطبري 353/8.

وعن أيوب السختياني رحمه الله –وهو من التابعين أيضا– قَالَ: «إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْحَدَثِ وَالْأَعْجَمِيِّ أَنْ يُوَفِّقَهُمَا اللَّهُ لِعَالِمٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ» يقصد بهذا الطريقة المتبعة في الاعتقاديات والعمليات.

فهذا يدل على أن الفتنة في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه كانت بداية التميز بين أهل السنّة وغيرهم من الفرق التي ظهرت منذ هذا الوقت، ثم أخذ هذا المفهوم في التبلور شيئا فشيئا منذ هذا العصر، بحسب ما طرأ من البدع الاعتقادية كالخوارج والقدر والاعتزال.

ويقرب لنا الحافظ ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة 795هـ في كتابه "كشف الكربة في وصف أهل الغربة" ص320 معنى السنة ودلالتها العقائدية بأنها (التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، ثم صار في عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم السنة عبارة عما سَلِمَ من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا هلكة).

فلم يكن ظهور هذا اللقب الاصطلاحي معروفا في زمن الصحابة، إذ لم تظهر فيهم ما ظهر فيمن بعدهم من البدع الاعتقادية التي أنكر أصحابها أشياء جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم أو ابتدعوا أمورا لم تقرها سنته صلى الله عليه وسلم، كإنكارهم القدر وتكفيرهم المسلمين بالذنب واتهام الصحابة وإنكار جل الأحاديث المروية عنهم، فلما ظهرت هذه البدع وغيرها كان المتمسكون بما كان في العهد الأول ملقبين بهذا الاسم تمييزا عمن خالفهم في ذلك، وكان أظهر ما تمسكوا به هو سنته صلى الله عليه وسلم ولذلك لقبوا بهذا اللقب.

فيتلخص مما سبق أن السنة بهذا المفهوم هي: (ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عليهم، في أمور الإيمان في الإلهيات والنبوات

(ISSN : 2536 - 9555)

والسمعيات، مع الأخذ بكل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم، بدون إنكار أو تأول فاسد).

ونجد عند الإمام النظار أبي المظفر الاسفراييني المتوفى سنة 471 هـ في كتابه "التبصير في الدين" (ص 185) توضيحا تفصيليا مهما فيه ذكر سبب تلقيبهم بهذا اللقب وبيان الأصناف التي تندرج تحت هذا اللقب الجامع المميز لهم عن غيرهم، فقال: (وَلَيْسَ فِي فرق الْأمة أَكثر مُتَابعَةً لأخبار الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأكْثر تبعا لسنته من هَؤُلَاءِ **وَلِهَذَا سموا أَصْحَاب الحَدِيث وَسموا بِأَهْل السّنة وَالْجَمَاعَة.**

وَمِنْهَا: أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لما سُئِلَ عَن الْفرْقَة النَّاجِية قَالَ مَا أنا عَلَيْهِ وأصحابي وَهَذِه الصّفة تقررت لأهل السّنة لأَنهم ينقلون الْأَخْبَار والْآثَار عَن الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَالصَّحَابَة رَضِي الله عَنْهُم وَلَا يدْخل فِي تِلْكَ الْجُمْلَة من يطعن فِي الصَّحَابَة من الْخَوَارِج وَالرَّوَافِض وَلَا من قَالَ من الْقَدَرِيَّة: إِن شَهَادَة اثْنَيْنِ من أهل صِفّين غير مَقْبُولَة على باقة بقل، وَمن ردهم وَطعن فيهم لَا يكون مُتَابعًا لَهُم وَلَا ملابسا بسيرتهم.

وَمِنْهَا: مَا جَاءَ فِي رِوَايَة أُخْرَى أَنه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم سُئِلَ عَن الْفرْقَة النَّاجِية فَقَالَ: **الْجَمَاعَة،** وَهَذِه صفة مُخْتَصَّة بِنَا لِأَن جَمِيع الْخَاص وَالْعَام من أهل الْفرق الْمُخْتَلفَة يسمونهم أهل السّنة وَالْجَمَاعَة، **وَكَيف يتَنَاوَل هَذَا الِاسْمُ الْخَوَارِجَ وهم لَا يرَوْنَ الْجَمَاعَة، وَالرَّوَافِضَ وهم لَا يرَوْنَ الْجَمَاعَة، والمعتزلة وهم لَا يرَوْنَ صِحَة الْإِجْمَاع، وَكَيف تلِيق بهم هَذِه الصّفة الَّتِي ذكرهَا الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم؟!**

وَمِنْهَا: أَنهم يستعملون فِي الْأَدِلَّة الشَّرْعِيَّة كتاب الله وَسنة رَسُوله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وأجماع الْأمة وَالْقِيَاس ويجمعون بَين جَمِيعهَا فِي فروع الشَّرِيعَة ويحتجون بجميعها وَمَا من فريق من فرق مخالفيهم إِلَّا وهم يردون شَيْئا من هَذِه

الْأَدِلَّة فَبَان أَنهم أهل النجَاة **باستعمالهم جَمِيع أصُول الشَّرِيعَة دون تَعْطِيل شَيْء مِنْهَا.**

وَمِنْهَا: أَن أهل السّنة مجتمعون فِيمَا بَينهم **لَا يكفر بَعضهم بَعْضًا وَلَيْسَ بَينهم خلاف يُوجب التبري والتفكير** فهم إِذن أهل الْجَمَاعَة قائمون بِالْحَقِّ وَالله تَعَالَى يحفظ الْحق وَأَهله كَمَا قَالَ تَعَالَى {إِنَّا نَحن نزلنَا الذّكر وَإِنَّا لَهُ لحافظون} قَالَ الْمُفَسِّرُونَ أَرَادَ بِهِ الْحِفْظ عَن التَّنَاقُض وَمَا من فريق من فرق الْمُخَالفين إِلَّا وَفِيمَا بَينهم تَكْفِير وتبري يكفر بَعضهم بَعْضًا كَمَا ذكرنَا من الْخَوَارِج وَالرَّوَافِض والقدرية...

وَمِنْهَا أَن فَتَاوَى الْأمة تَدور على أهل السّنة وَالْجَمَاعَة فريقي الرَّأْي والْحَدِيث، ومعظم الْأَئِمَّة ينتحلون مَذْهَبهم ويجتمعون على طريقهم وَهُوَ الْغَالِب على بِلَاد الْمُسلمين فهم إِذن أهل الْجَمَاعَة من سَائِر الْوُجُوه وَكلهمْ متفقون على رد مَذْهَب الروافض والخوارج والقدرية من أهل الْأَهْوَاء والبدع.

وهذا النص من الإمام أبي المظفر في غاية الأهمية لأنه أوضح الخطوط العريضة لمن يشملهم هذا اللقب، ومن لا يندرج فيه، فبين أنهم لا ينكرون شيئا مما صح عنه صلى الله عليه وسلم في العقائد، ولا يكفر بعضهم بعضا، كما أنهم يتبعون مذاهب أئمة الحديث والرأي، كما أوضح أبو المظفر أيضا في سياق هذه المعالم المميزة لأهل السنة تمسكهم بالجماعة حتى صار مضافا للقب أهل السنة.

وكل ذلك يفيد أن عموم المسلمين وغالبيتهم اليوم تنطبق عليهم هذه الأوصاف.

ويؤكد ذلك ما قرره الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه "الفَرْق بين الفِرَق" حيث نوَّع أهل السنة إلى ثمانية أصناف ممن تمسك بالأصول المقررة بينهم، فذكر أئمة التوحيد، وأئمة الفقه على طريقتي الرأي والأثر، وحفاظ السنة النقاد، والأدباء والنحاة، وعلماء القراءات، والزهاد والصوفية، والمجاهدون والمرابطون، ثم ختم

(ISSN : 2536 - 9555)

بعامة البلدان التي غلب على أهلها اتباع أئمة السنة في مختلف العلوم، وهم غالب المسلمين من الصدر الأول وإلى يوم الناس هذا، فقال معلقا على هذا الصنف: (والصنف الثَّامِن مِنْهُم عَامَّة الْبلدَانِ الَّتِى غلب فِيهَا شَعَائِر أهل السّنة دون عَامَّة الْبِقَاع الَّتِى ظهر فِيهَا شعار أهل الاهواء الضَّالة، وإنما أردنا بِهَذا الصِّنْف من الْعَامَّة الذين اعتقدوا تصويب عُلَمَاء السّنة وَالْجَمَاعَة فى أبواب الْعدْل والتوحيد والوعد والوعيد وَرَجَعُوا اليهم فى معالم دينهم وقلدوهم فِي فروع الْحَلَال وَالْحرَام وَلم يعتقدوا شَيْئا من بدع أهل الاهواء الضَّالة وَهَؤُلَاء هم الَّذين سمتهم الصُّوفِيَّة حَشْو الْجنَّة). ثم ذكر الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة والتي مشى عليها أبو المظفر الإسفراييني رحمه الله تعالى مما نقلناه سابقا [12].

وبالتالي تكون دلالة البدعة هنا هي البدعة الاعتقادية في المقام الأول، وهي التي قام متكلمو أهل السنة بمقاومتها كالاعتزال والقد والتشيع، فظهر من هذا أن مصطلح السنة يفيد عدم دخول شيء من هذه العقائد المخالفة في مسماها.

مصطلح الجماعة

وهي معطوفة على (السنة) وهي في اللغة تدل على: القوم المجتمعين على أمر واحد، وأصل هذه المادة في المعاجم اللغوية تدل على الضم والاحتشاد وعدم التفرق[13].

وقد ذكر الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل" ص 38 ما يصبغ هذا اللفظ صبغة اصطلاحية تقرب من المقصود حيث قال: (ولما كان نوع الإنسان محتاجا إلى اجتماع مع آخر من بني جنسه في إقامة معاشه، والاستعداد لمعاده؛ وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ

(12) الفرق بين الفرق لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي 234–241.
(13) انظر لسان العرب 53/8 مادة (جمع)، والمعجم الوسيط ص مادة (جمع).

بالتمانع ما هو أهله، ويحصل بالتعاون ما ليس له؛ فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هي الملة، والطريق الخاص الذي يوصل إلى هذه الهيئة هو المنهاج، والشرعة، والسنة، والاتفاق على تلك السنة هي الجماعة).

يريد بذلك: من اجتمعوا على الكتاب والسنة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من الخاصة والعامة، وخلوا من البدع الناشئة بعد العهد الأول.

فالصحابة رضي الله عنهم هم الجماعة الأولى التي زكاها الحق وعدَّلها في القرآن الكريم، قال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18)} [الفتح: 18].

وقد بين الله تعالى أن رضاه يكون للذين اتبعوا الجماعة الأولى من المهاجرين والأنصار بإحسان، فجعل اتباع الصحابة والاقتداء بهم في الدين سببا لتحصيل الرضا الإلهي، قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100)} [التوبة: 100].

وقد وردت أحاديث شريفة تبين فضلهم رضي الله عنهم، وتؤكد على أهمية لزوم الجماعة.

1. فعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ رَضي الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ» متفق عليه[14].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ» أخرجه البخاري[15].

(14) صحيح البخاري 171/3 ح2652، ومسلم 1962/4 ح2533.

(ISSN : 2536 - 9555)

2. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي الله عَنهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ» متفق عليه[16].

3. وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَجْمَعُ أُمَّتِي، أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَيَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ» أخرجه الترمذي[17].

4. وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» متفق عليه [18].

5. وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ: أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ

---

(15) صحيح البخاري 8/5 ح3673.

(16) صحيح البخاري 9/ 47 ح 7054، ومسلم 3/ 1477 ح 1849.

(17) جامع الترمذي 36/4 ح 2167.

(18) صحيح البخاري 199/4 ح 3606، ومسلم 3/ 1475 ح 1847.

يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلاَ يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلاَ يُسْتَشْهَدُ، أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ» أخرجه الترمذي [19]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالجماعة هي من لزمت ما كان عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم، واقتدت بالأئمة المتبوعين، ولم تعتزل أو تبتدع رأيا مخالفا، وهذا مفهوم قريب جدا من مفهوم السنة بدلالتها الاعتقادية لكنها تحمل معنى خاصا من جهة التأكيد على لزوم جماعة المؤمنين والإمام وعدم تكفير عموم المسلمين.

اختلافات لا تؤثر في صحة النسبة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، والجواب على من شكك في ذلك.

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن ثمة اختلافات دقيقة بين أئمة أهل السنة لا تخرج عن الإطار العلمي، لا تؤثر واقعيا على صحة انتسابهم جميعا إلى أهل السنة؛ وذلك لاشتراكهم في الأصول، وما اختلفوا فيه فقد نصوا على أنها اختلافات لفظية في عمومها وما سوى ذلك نادر لا يقتضي تبديعا ولا تكفيرا، أشهرها ما وقع بين الأشعرية[20] والحنابلة[21]، بل وفي داخل المذهبين اختلافات

(19) جامع الترمذي 4/ 35 ح 2165.

(20) نسبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري الشافعي، ولد بالبصرة سنة 260، وتوفي ببغداد 324 على الأرجح، كان من الأئمة المتكلمين، تلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بنصرة السنة، وألف المصنفات المتكاثرة، قيل بلغت ثلاثمائة، حتى صار شعارا لأكثر أتباع المذاهب فانتسبوا إليه في العقائد، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 85/15، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 347/3، الأعلام للزركلي 263/4. وهو الإمام أبو منصور الماتريدي يمثلان جناحي أهل السنة في جانب العقائد على

(ISSN : 2536 - 9555)

أكثر دقة، اعتبرها بعض المنتسبين إلى هذه المذاهب مبررا للمفاصلة المذهبية بينهم وبين غيرهم ممن ينتسبون إلى مذهب أهل السنة، وكانت لهذه الوجهة الأثر السلبي في واقع أهل السنة، لكنه لم يكن يحظى بالقبول أو القدرة على الاستمرار في التعايش، ولذا نجد في المقابل أن تقريرات المحققين من الفريقين من قديمٍ تؤكد عدم اختلافهم في الأصول في الجملة، وأنهم جميعا أهل السنة والجماعة، كما أنها تَرُدُّ مزاعم من شكك في هذه المسألة، وهي مسألة جديرة بالبيان والإشارة إلى خطورة المتاجرة بهذه المسائل الخلافية الجزئية للتفرقة بين أهل المذهب الواحد.

فقد اشتهر عن الإمام الأشعري– وهو رأس المدرسة الأشعرية– أنه كان يقول: (مذهبي مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل)[22].

وكان الإمام المتكلم الكبير أبو الباقلاني المالكي– الملقب بالأشعري الثاني– التوفى سنة 403 هـ، يُعرف أيضا بأبي بكر الحنبلي؛ نظرا لارتباط الحنابلة به ونصرته لمقالاتهم بالحجج العقلية والنقلية، وكان إمام الحنابلة في وقته أبو الفضل

طريقة المتكلمين، وأبو منصور هو: محمد بن محمد بن محمود السمرقندي الماتريدي، كان إمام أهل السنة ببلاد ما وراء النهر، من مصنفاته: كتاب التوحيد، الرد على القرامطة، كتاب التفسير وغيرها من المؤلفات توفي 333هـ وعلى طريقته أكثر الأحناف في تقرير العقائد، ترجمته في اتحاف السادة المتقين 5/2، والأعلام للزركلي 19/7.

(21) نسبة إلى الإمام أبي عبد الله أحمد محمد بن بن حنبل الشيبانيّ، إمام المذهب وصاحب المسند، ولد ببغداد. فنشأ منكبّا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارا كبيرة إلى بلاد كثيرة، وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن فسجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهرا لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وثبت الله به قلوب أهل السنة، توفي سنة 241 هـ.

(22) قال الإمام السبكي في كتابه "طبقات الشافعية الكبرى 236/4: (وعقيدته –يعني الإمام الأشعري– وعقيدة الإِمَام أَحْمد رَحمَه الله وَاحِدَة لَا شكّ فِي ذَلِك وَلَا ارتياب وَبِه صرح الْأَشْعَرِيّ فِي تصانيفه وَكرر غير مَا مرّة أَن عقيدتي هِيَ عقيدة الإِمَام المبجل أَحْمد بن حَنْبَل هَذِه عبارَة الشَّيْخ أبي الْحسن فِي غير مَوضِع من كَلَامه).

التميمي البغدادي رحمه الله يقول لأصحابه الحنابلة: (تمسكوا بهذا الرجل– يعني الباقلاني– فليس للسنة عنه غنى أبدا) وذلك لما كان منه مِن نُصرة عقيدة أهل السنة بالبراهين الساطعة، ولما توفي الباقلاني خرج لجنازته حافيًا وأمر أصحابه الحنابلة أَن يُنَادى بَين يَدي الجنَازَة: هَذَا نَاصِر السّنة وَالدّين (هَذَا إِمَام الْمُسلمين) هَذَا الَّذِي كَانَ يذب عَن الشَّرِيعَة أَلْسِنَة الْمُخَالفين هَذَا الَّذِي صنف سبعين ألف ورقة ردا على الْمُلْحِدِينَ[23].

ويؤكد حافظ عصره أبو القاسم بن عساكر ت 571 هـ في كتابه "تبيين كذب المفتري" ص411، هذه العلاقة الوطيدة مع الحنابلة فيقول: (كَانَ بَينه– يعني الباقلاني– وَبَين جمَاعَة من الحنَابلة مُخَالطَة ومؤانسة، واجتماع فِي سَماع الحَدِيث وَرِوَايَته ومجالسَة، وَقد رَأَيْت سَمَاعه فِي عدَّة من الْأَجْزَاء والمجالس بِخَط الْحَافِظ أَبِي الْفَتْح بن أَبِي الفوارس وقبره فِي مَقْبرَة الإِمَام أَحْمد بن حَنْبَل رَحمَه الله ظَاهر وَذكره فِي جَمِيع الْآفَاق مشتهر سَائِر).

وقال أيضا في ص163: (وَلم تزل الحنَابلة بِبَغْدَادَ فِي قديم الدَّهْر على ممر الْأَوْقَات تعتضد بالأشعرية على أَصْحَاب الْبدع لأَنهم المتكلمون من أهل الْإِثْبَات فَمن تكلم مِنْهُم فِي الرَّد على مُبْتَدع فبلسان الأشعرية يتَكَلَّم وَمن حقق مِنْهُم فِي الْأُصُول فِي مَسْأَلَة فَمنهمْ يتَعَلَّم).

ولم تزل شهادات متأخري الحنابلة من المحققين في تأكيد شمول وصف أهل السنة للأشعرية وغيرهم، ومن ذلك قول العلامة شمس الدين السفاريني الحنبلي ت 1188 هـ في كتابه "لوامع الأنوار البهية" معرفا بأهل السنة: (أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ثَلَاثُ فِرَقٍ: الْأَثَرِيَّةُ وَإِمَامُهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْأَشْعَرِيَّةُ وَإِمَامُهُمْ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ، وَالْمَاتُرِيدِيَّةُ وَإِمَامُهُمْ أَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ).

(23) سير أعلام النبلاء للذهبي 17/ 193.

(ISSN : 2536 - 9555)

وقال العلامة الفقيه عبد الباقي المواهبي الحنبلي ت 1071هـ في كتابه "العين والأثر في عقائد أهل الأثر" ص 53: (إِنَّ طَوائِف أَهْلِ السُّنةِ ثَلاثَةٌ: أشاعرة، وحنابلة، وماتريدية).

وقال العلامة أحمد بن عبد الله المرادوي الحنبلي –وهو من علماء القرن الثالث عشر الهجري– في شرحه على لامية ابن تيمية ص 182: (هذه العقيدة مما اتفق عليها الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، وممن حكي عنهم مقالات السلف ممن تقدم ذكره، فكل منهم على حق، وإن وقع الخلاف بين الشيخ أبي الحسن الأشعري شيخ أهل السنة من الشافعية، وبين الإمام أبي حنيفة من أخر من مسائل أصول الدين؛ لكنها يسيرة ولا تقتضي تكفيرا ولا تبديعا).

ولعل هذه النصوص كافية في بيان أن أهل السنة يد واحدة، وأنه لا تأثير للمسائل الخلافية على اعتبارهم جميعا على مذهب أهل السنة والجماعة، وفي هذا أبلغ الرد على من يحاولون إثارة بعض المسائل الخلافية لإحداث الفرقة وإخراج فصيلٍ كبير من دائرة أهل السنة من خلال إثارة هذه المسائل، وهذا مبرر مرفوض لدى أئمة السنة لإخراج أحد من هذه الدائرة، قال أحمد رضي الله عنه: (إِخْرَاجُ النَّاسِ مِنَ السُّنَّةِ شَدِيدٌ) [24]، لأن التساهل في هذا الباب لا يؤدي إلا إلى مزيدٍ من ضعف المسلمين، وواقع المسلمين خير شاهد على أثر هذا المسلك الخطير، ولهذا وصف الشيخ محمد الغزالي السقا رحمه الله في كتابه القيم "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية" هذه الممارسات بالمتاجرة بالخلاف، ونَعَتها بالخيانة العظيمة[25].

ويتلخص مما سبق:

---

(24) السنة لأبي بكر الخلال 373/2.

(25) عقد لذلك الموضوع فصلا كاملا، وهو الفصل السادس من الكتاب المذكور من ص 125.

1. أن السنة بالمعنى الاصطلاحي العقدي هي ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عليهم، في أمور الإيمان في الإلهيات والنبوات والسمعيات، مع الأخذ بكل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم، بدون إنكار لشيء منه.

2. أن مفهوم أهل السنة والجماعة يباين التشيع والاعتزال والخوارج ونحو ذلك من الفرق التي ظهرت بعد العهد الأول.

3. أن أهل السنة والجماعة جمهور الأمة الإسلامية منذ عهد الصحابة وإلى يوم الناس هذا على مذهب أهل السنة والجماعة، فأكثر البلدان الإسلامية تقر بالأصول التي قررها علماء أهل السنة، فكل من أقر بهذه الأصول من الأفراد والجماعات فهو من أهل السنة.

(ISSN : 2536 - 9555)

الفصل الثاني

التيارات الشيعية

تعريف الشيعة في اللغة:

قال ابن دُرَيْد "فلان من شيعة فلان أي: ممن يرى رأيه، وشيعت الرجل على الأمر تشييعاً إذا أعنته عليه، وشايعت الرجل على الأمر مشايعة وشياعاً إذا مالأته عليه"[26].

وقال الجَوْهَري "تشيّع الرجل أي: ادعى دعوى الشيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شِيَع قال ذو الرُّمة: استحدث الركب عن أشياعهم خبراً[27]. يعني عن أصحابهم"[28].

وقال ابن مَنْظور: "والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شِيَعٌ، وأشياع جمع الجمع، وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكور والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي: عندهم، وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة.

والشيعة: قوم يرون رأي غيرهم، وتشايع القوم صاروا شيعاً، وشيّع الرجل إذا ادعى دعوى الشّيعة، وشايعه شياعاً وشيّعه تابعه، ويقال: فلان يشايعه على ذلك أي: يقويه"[29].

---

(26) جمهرة اللغة 63/3.
(27) ديوان ذي الرمة ص4.
(28) الصحاح 1240/3.
(29) لسان العرب 8/ 189.

وقال الأزهري: "والشيعة أنصار الرجل وأتباعه وكل قوم اجتمعوا على أمرهم شيعة. والجماعة شيع وأشياع، والشيعة: قوم يهوون هوى عترة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويوالونهم[30].

وقال الزَّبِيدي: كل من عاون إنساناً وتحزب له فهو له شيعة، وأصل الشيعة من المشايعة وهي المتابعة، وقيل: عين الشيعة واو من شوع قومه إذا جمعهم. وقد غلب هذا الاسم (الشيعة) على كل من يتولى علياً وأهل بيته.. وهم أمة لا يحصون، مبتدعة، وغلاتهم الإمامية المنتظرية يسبون الشيخين، وغلاة غلاتهم يكفرون الشيخين، ومنهم من يرتقي إلى الزندقة" [31].

فالشيعة، والتشيع، والمشايعة في اللغة تدور حول معنى المتابعة، والمناصرة، والموافقة بالرأي، والاجتماع على الأمر، أو الممالأة عليه. ثم غلب هذا الاسم – كما يقوله صاحب التهذيب واللسان، والقاموس، وتاج العروس– على كل من يتولى علياً وأهل بيته رضي الله عنهم.

لفظ الشيعة في القرآن:

ومادة (شيع) وردت في كتاب الله العظيم في اثني عشر موضعاً، وقد وذكر أهل التفسير أن الشيع في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: الفرق، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا}. وقوله: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ}. وقوله: {وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا}. وقوله: {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا}.

والثاني: الأهل والنسب، ومنه قوله تعالى: {هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ}. أراد من أهله في النسب إلى بني إسرائيل.

---

(30) تهذيب اللغة 40/3.

(31) تاج العروس 303/21.

(ISSN : 2536 - 9555)

والثالث: أهل الملة، ومنه قوله تعالى: {ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ}، وقوله: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ}، وقوله: {كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم}. وقوله: {إِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ}.

والرابع: الأهواء المختلفة، قال تعالى: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً} [32].

تعريف الشيعة اصطلاحاً

عرفها الشيخ القمي بقوله: هم شيعة علي بن أبي طالب وقال في موضع آخر:"الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته"[33].

قال الشهرستاني في الملل والنحل معرفا بالشيعة: (هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا، وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده) [34].

وقال ابن الأثير: (وَقَدْ غَلَب هَذَا الاسْم عَلَى كُلّ مَنْ يَزْعُم أَنَّهُ يَتوَلَّى عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأهلَ بيْته، حَتَّى صارَ لَهُمُ اسْمًا خَاصًّا، فَإِذَا قِيلَ فلانٌ مِنَ الشِّيعَةِ عُرف أَنَّهُ مِنْهُمْ، وَفِي مَذْهب الشِّيعَةِ كَذَا: أَيْ عِندَهم) [35].

هذا هو القدر المشترك بين عموم الشيعة ومن الصعب وضع تعريف جامع لكل فرقهم لوجود اختلافات جذرية يناقض بعضها البعض الآخر، وقد أدى ذلك بالضرورة إلى كثرة الفرق الشيعية المختلفة وداخل بعض هذه الفرق تفريعات أخرى، بحيث يلاحظ أن الشيعة هي أكثر الفرق الإسلامية تشعبا وتفريعا.

---

(32) انظر: نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي: 376-377.

(33) المقالات والفرق ص15،3.

(34) 1/ 146.

(35) النهاية في غريب الحديث والأثر 2/ 519.

وقد أرجع الأشعري هذه الفرق الأشعري إلى ثلاث فرق: الغالية، والرافضة، والزيدية، ومجموعها عنده خمس وأربعون فرقة، وهو لا يدخل الاثني عشرية في عداد الرافضة، بينما يدخلها أبو منصور البغدادي في عداد الرافضة، وبعضهم يوصلها إلى أكثر من هذا بكثير، وبين العلماء السنة والشيعة اختلاف كبير في حصر هذه الفرق وتصنيفها لشدة تشعبها وكثرة اختلافها[36].

التطور التاريخي للتشيع

يرى مؤرخو الشيعة أن التشيع لعلي رضي الله عنه بدأ منذ عصر النبوة، وفي هذا الصدد يقول النوبختي: (فأول الفرق الشيعية وهم فرقة علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمانه صلى الله عليه وسلم وما بعده، معروفون بانقطاعهم إليه، والقول بإمامته) [37].

ويقول السيد محمد الأمين: (إن تسميتهم بذلك –أي الشيعة– من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم) [38]. وعلى هذا تدور معظم كتب الشيعة التي تناولت مسألة أصالة دلالة التشيع.

بينما ذهب الأكثرون وهم أهل السنة إلى أن استعمال هذا المصطلح كان في الصدر الأول لا يخرج عن المعنى اللغوي الصرف الذي سبق عرضه، إلى أن بدأ يتبلور بمعنى خاصٍ بعد استشهاد أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه، مرورا بزمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قال العلامة محمد أبو زهرة:

---

(36) ينظر تفصيل هذه الفرق في: المنية والأمل شرح الملل والنحل لابن المرتضى ص20، والحور العين لنشوان الحميري ص 154، ومقالات الإسلاميين للأشعري 66/1، 88، 90، 140، والفرق بين الفرق لأبي منصور للبغدادي 23، 64، الملل والنحل للشهرستاني147/1. وسيأتي تعريف بأشهر هذه الفرق قريبا.

(37) فرق الشيعة للنوبختي ص 15 بدون.

(38) أعيان الشيعة للسيد محمد الأمين 19/1 ط دار التعارف.

(ISSN : 2536 - 9555)

(قامت الشيعة ظاهرة في آخر عصر الخليفة الثالث عثمان، –رضي الله عنه– وقد نمت وترعرعت في عهد علي رضي الله عنه من غير أن يعمل على تنميتها)[39]، وقد وصل تبلور هذا المصطلح ذروته بعد استشهاد سيدنا الحسين رضي الله عنه في كربلاء، لتختص دلالته بعقائد خاصة تتعدى طور المناصرة والمشايعة بالمعنى اللغوي، وإلى ذلك أشار الدكتور مصطفى الشيبي (أن تبلور الحركة السياسية تحت اسم الشيعة كان بعد قتل الحسين– رضي الله عنه– مباشرة، وإن كانت الحركةُ سبقت الاصطلاح) [40]، وهذا ما يؤيده المؤرخ المسعودي– وأدبيات الشيعة تنسبه إلى التشيع– حين قال (وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة، وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه، ورأوا أنهم قد أخطؤا خطأ كبيراً، بدعاء الحسين إياهم ولم يجيبوه، ولمقتله إلى جانبهم فلم ينصروه، ورأوا أنهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم إلا قتل من قتله أو القتل فيه، ففزعوا إلى خمسة نفر منهم: سليمان بن صُرَد الخزاعي...) [41]. وهذا الرأي هو الذي تؤيده شواهد الواقع، حيث لم يقع خلاف في زمن الصحابة حول قضية واحدة من القضايا التي وقع فيها الخلاف بين الشيعة وغيرهم، وهكذا استمر الحال إلى زمن عثمان رضي الله عنه ووقوع الفتنة، وكما لم تظهر كتب للشيعة قبل هذا التاريخ تتناول شيئا من هذه القضايا، مما يؤكد أن لفظ التشيع أطلق أولا وأريد به المناصرة، ثم تفضيل سيدنا علي رضي الله عنه[42]، ثم أخذ يتطور حسب

(39) تاريخ المذاهب الإسلامية ص 29.

(40) الصلة بين التصوف والتشيع ص23.

(41) مروج الذهب 100/3 ط دار الفكر.

(42) قال الذهبي في ميزان الاعتدال 6/1 (الشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان) يعني يقدمون عليا رضي الله عنه عليه.

المعطيات السياسية التي ذكرتها كتب التاريخ كما ذكر المسعودي وغيره إلى أن تبلور بالمعنى الاصطلاحي سابق الذكر.

أشهر فرق الشيعة وأشهر فروعها الحركية

أشهر هذه الفرق قديما وحديثا ولها أذرع حركية هي (الإمامية والزيدية)، وهما باقيتان إلى يوم الناس هذا، ولهما أثر كبير في التيارات الفكرية والسياسية، حيث نجحت الأولى في إقامة دولة لها موقعها اليوم في الشرق الأوسط، وصارت الثانية قوة سياسية ضاربة في اليمن نظرا لتطورات سياسية مهمة شهدتها منطقة الشرق الأوسط، وسوف نعرف بهما باختصار فيما يلي[43]:

أولا: التعريف بالإمامية.

الإمامية: والتي تعرف أيضا بالاثنى عشرية، ويصفهم الإمام الأشعري بأنهم جمهور الشيعة[44]، وقد رأوا أن عليًا هو الأحق في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان رضي الله عنهم أجمعين وقد أطلق عليهم الإمامية لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم، وسُمُّوا بالاثنى عشرية لأنهم قالوا باثني عشر إمامًا، وأنهم معينون بالنص– كما يعتقدون– وهم القسم المقابل لأهل السنة والجماعة في فكرهم وآرائهم المتميزة، وهم يعملون لنشر مذهبهم ليعم العالم الإسلامي.

أبرز الشخصيات الإمامية:

· الاثنا عشر إمامًا الذين يتخذهم الإمامية أئمة لهم بالنص يتسلسلون على النحو التالي:

---

(43) الكلام عن التعريف بالإمامية والزيدية ملخص من كتاب: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ط دار الندوة العالمية.

(44) مقالات الإسلاميين 17/1.

(ISSN : 2536 - 9555)

1. علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي يلقبونه بالمرتضى . رابع الخلفاء الراشدين، وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد مات غيلةً حينما أقدم الخارجي عبد الرحمن بن ملجم على قتله في مسجد الكوفة في 17 رمضان سنة 40 هـ.
2. الحسن بن علي رضي الله عنهما، الملقب بالمجبتى (3 . 50هـ).
3. الحسين بن علي رضي الله عنهما الملقب بالشهيد (4 . 61هـ).
4. علي زين العابدين بن الحسين (38 . 95 هـ) الملقب بالسَّجَّاد.
5. محمد الباقر بن علي زين العابدين (57 . 114هـ) الملقب بالباقر.
6. جعفر الصادق بن محمد الباقر (83 . 148هـ) الملقب بالصادق.
7. موسى الكاظم بن جعفر الصادق (128 . 183هـ) الملقب بالكاظم.
8. علي الرضا بن موسى الكاظم (148 . 203هـ) الملقب بالرضى.
9. محمد الجواد بن علي الرضا (195 . 220هـ) الملقب بالتقي.
10. علي الهادي بن محمد الجواد (212 . 254هـ) الملقب بالنقي.
11. الحسن العسكري بن علي عبد الهادي (232 . 260هـ) الملقب بالزكي.
12. محمد المهدي بن الحسن العسكري (256هـ ....) الملقب بالحجة القائم المنتظر.

ويقولون بأن الإمام الثاني عشر قد دخل سردابًا في دار أبيه بِسُرَّ مَنْ رأى ولم يعد إلى الآن، وقد اختلفوا في سِنّه وقت اختفائه فقيل أربع سنوات وقيل ثماني سنوات.

أهم معتقدات الإمامية:

1. الإمامة: وهي في المعتقد الإمامي من الأمور الهامة التي لا يجوز أن يفارق النبي صلى الله عليه وسلم الأمة ويتركها هملاً يرى كل واحد منهم رأيًا، بل يجب أن يعين شخصًا هو المرجوع إليه والمعوَّل عليه فتكون

بالنص، إذ يجب أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق بالعين لا بالوصف.

2. ويقولون إن عليًّا قد نص على ولديه الحسن والحسين.. وهكذا.. فكل إمام يعين الإمام الذي يليه بوصية منه. ويسمونهم الأوصياء.
3. كل الأئمة معصومون عن الخطأ والنسيان، وعن اقتراف الكبائر والصغائر.
4. العلم اللدني: كل إمام من الأئمة أُودع العلم من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم، بما يكمل الشريعة، وهو يملك علمًا لدنيًّا ولا يوجد بينه وبين النبي من فرق سوى أنه لا يوحى إليه، وقد استودعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرار الشريعة ليبينوا للناس ما يقتضيه زمانهم.
5. خوارق العادات: يجوز أن تجري هذه الخوارق على يد الإمام، ويسمون ذلك معجزة، وإذا لم يكن هناك نص على إمام من الإمام السابق عليه وجب أن يكون إثبات الإمامة في هذه الحالة بالخارقة.
6. الغَيبة: يرون أن الزمان لا يخلو من حجة لله عقلاً وشرعًا، ويترتب على ذلك أن الإمام الثاني عشر قد غاب في سردابه، كما زعموا، وأن له غيبة صغرى وغيبة كبرى.
7. البراءة: يتبرؤون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وينعتونهم بأقبح الصفات لأنهم –كما يزعمون– اغتصبوا الخلافة من علي الذي هو أحق منهم بها، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة باللعن سوى عدد يسير منهم.

وهم المنتشرون اليوم في إيران ولهم فيها دولة أسست منذ عام 1979م، ولهم وجود في دول أخرى كالعراق، وسوريا، والبحرين، والسعودية، وغيرها من البلدان.

(ISSN : 2536 - 9555)

ومن أشهر أعلامهم في التاريخ المعاصر: الشيخ محمد حسين كاشف الغطا، والسيد حسين الطبطبائي، وآية الله الخميني، والسيد محمد باقر الصدر، والسيد محمد باقر الحكيم، والشيخ جعفر السبحاني.

أشهر التيارات المعاصرة التابعة للشيعة الإمامية

ليس غريبا على الفكر الشيعي بصفة عامة أن يزخر بالحراك السياسي الإسلامي إذ إن نشأة هذا المذهب كانت في ظروف سياسية، وكانت المفاصلة بينه وبين سائر المسلمين تتمركز في قضية محورية أساسية –وهي مسألة سياسية– وهي قضية الإمامة، وإن كان الشيعة يقولون إنها مسألة دينية جاءت بها بعض النصوص خلافا لجمهور أهل السنة، وعلى كل حال فإن قضية الإمامة هي محور الفكر الشيعي باختلاف طوائفه وبالتالي نتج عن ذلك كثير من الحراك المعاصر، نجمله فيما يلي:

يعتبر المذهب الإمامي الذي سبق التعريف به وبنشأته، هو الأصل الذي تفرعت عنه تيارات قوية لها ثقلها الديني والسياسي المعاصر، حيث إن الدعوة الإمامية تمكّنت في التاريخ المعاصر من إقامة الجمهورية الإسلامية (إيران الحالية) نتيجة الثورة الكبرى التي تزعمها الخميني، وقضت على حكم الشاه في فبراير 1979م، وبقيام هذه الدولة تغيرت صورة التيارات الإسلامية وتطورت إلى حد كبير جدا، ليس في الإطار الشيعي فقط، بل امتد ذلك للحركات الإسلامية السنية التي رأت في قيام الثورة الإيرانية– مع الاختلاف العقدي معها– نموذجا تمكنت فيه من النجاح وتحقيق أهدافها، ولذلك (استبشر بقيامها كثير من شباب أهل السنّة في مختلف بقاع الأرض، وعلقوا عليها آمالاً، وفرضت فكرة التقريب نفسها، فقد هب الكثير من المنتسبين لأهل السنّة لتأييد الخميني في ثورته، ووصفت الحركة الشيعية بقيادة الخميني بأنها حركة إسلامية قد بعدت عن ذلك

"الغلو" الشيعي المعهود، ونأت عن الطائفية الضيقة، فهي ترفع شعار "الإسلام"، وتعلن "الجمهورية الإسلامية" وتنص في دستورها على تحكيم الكتاب والسنّة) [45].

ولذلك فإننا نعتقد أن أهم ما تفرع عن الدعوة الإمامية هو قيام دولة إيران نفسها والتي اتخذت اسم (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، ثم فروع أخرى ظهرت بناء على ظهور هذه الدولة.

1. دولة إيران[46]:

قام نظام الجمهورية الإسلامية (إيران) على وضع أسس تجعل من الدولة (تيارا حركيا كبيرا) يعمل على نشر مبادئ ثورتها خارج حدودها، بعد أن أقامها الخميني على أساس نظرية ولاية الفقيه التي تعني الاعتقاد بأن الفقيه الذي اجتمعت له الكفاءة العلمية وصفة العدالة يتمتع بولاية عامة وسلطة مطلقة على شؤون العباد والبلاد باعتباره الوصي على شؤونهم في غيبة الإمام المنتظر، وبالتالي وسَّع من السلطة السياسية للفقيه، والتي كانت من قبل من خصائص الإمام المنتظر فهو المخول بمهام القيادة السياسية بعد ظهوره حسب التصور الشيعي السابق، وكان في مقدمة تلك المبادئ التي أرساها الخميني أيضا: تصدير المذهب الشيعي الاثنى عشري، الأمر الذي أدى إلى توتر علاقة إيران مع جيرانها، وفي مقدمتهم العراق الذي خاضت إيران معها حربا امتدت ثماني سنوات (1980 . 1988م)، ولا شك أن عمل إيران على نشر ثورتها ومذهبها خارج حدودها هو في الحقيقة يصعب انفكاكه عن كيان هذه الدولة، لطبيعة تكوين الدولة نفسها

---

(45) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة 229/2.

(46) الجمهورية الإسلامية الإيرانية دولة تقع في غرب آسياوهي ثاني أكبر دول بالشرق الأوسط من حيث عدد السكان بعد مصر باجمالي 81 مليون نسمة، وكذلك ثاني أكبر بلدان الشرق الاوسط مساحة بعد السعودية بمساحة تبلغ 1،648،195 كم2 ما يجعلها تحتل المرتبة الثامنة عشر بين بلدان في العالم من حيث المساحة، (موقع ويكيبيديا).

(ISSN : 2536 - 9555)

نظرة في بعض مكونات الدولة الإيرانية[47]:

1. المرشد الأعلى: إن من أهم ما يلفت النظر في النظام السياسي الإيراني أن المرجعية العليا فيه للمرشد الأعلى للثورة كما ينص دستور البلاد، كما تنص أن له سلطة الحكم مدى الحياة، وينتخبه مجلس الخبراء ويقيله عند عجزه عن أداء واجبه أو عدم تمتعه بصفات المرشد، ويقوم المرشد بتعيين ممثلين يراقبون أي انحرافات في العقيدة، وتتم غالبية صلاحيات المرشد بعد استشارة مجلس تشخيص مصلحة النظام.

2. مجلس الخبراء: وهو مجلس من الفقهاء الشيعة يناط بهم تنصيب المرشد الأعلى، ويمكنهم عزله إذا ما أخل بالأهلية اللازمة لتبوء المنصب، ويتكون من 86 فقيها شيعيا ينتخبهم الشعب، تبلغ مدته 8 سنوات. ينتخب المجلس المرشد الأعلى ويقيله.

3. الرئيس: وهو أعلى سلطة في البلاد بعد ينتخبه الشعب لمدة 4 سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة، وتجري الانتخابات على دورتين كحد أقصى، ويحق للقائد الأعلى إقالة الرئيس، وفي حال خلو منصبه، يتولى نائبه المنصب بدلا منه.

4. مجلس أوصياء الدستور :يحتوي اثني عشر عضوا يختار المرشد ستة أعضاء منهم، والبرلمان الستة الاخرون لمدة ست سنوات يجدد فيها نصف الأعضاء كل ثلاث سنوات، ويراجِع المجلس تشريعات البرلمان ويصادق عليها أو ينقضها، كما يشرف على الانتخابات الرئاسية وله الحق في تفسير الدستور.

(47) هذه المكونات ملخصة من كتاب: خريطة الشيعة في العالم، لأمير سعيد 76-82، ومقال بعنوان (النظام السياسي الإيراني): نشره موقع https://layalhazboun.wordpress.com/.

5. القوات المسلحة: وهي تعني في إيران (الجيش، وقوات حرس الثورة الإسلامية)، ومن مهام هذا الحرس حماية (مكتسبات الثورة) والمساهمة الدائمة في (تصدير الثورة) وهو الجهد الذي يبرز خارج البلاد وبعيدا عن حدود الدولة الإيرانية، وتكون القيادة للقوات المسلحة بشقيها (الجيش والحرس) تحت سيادة المرشد الأعلى مباشرة.

وبتأمل هذه الأسس التي هي بعض المكونات الأساسية لنظام الدولة السياسي ندرك بوضوح أننا أمام حركة إسلامية سياسية كبرى في صورة دولة السلطة العليا فيه هي سلطة المرشد الأعلى، هي بطبيعة تكوينها تمثل حراكا سياسيا إسلاميا مستمرا، أحدث تغييرات دينية وسياسية واجتماعية هائلة في كل دول الجوار وغيرها من الدول، وتولدت منه –أو تأثرا به– العديد من الحركات الإسلامية الشيعية، إضافة إلى نجاحها في نشر الفكر الشيعي الإمامي في الكثير من بلدان العالم.

2. حركة أمل:

حركة أمل اللبنانية أسّسها السيد موسى الصدر في سبعينيات القرن الماضي، وتعتبر الحركة الأم التي انحدر منها عدد من الحركات المسلحة شيعيّة المذهب في لبنان والتي من أشهرها حركة حزب الله في لبنان، كما أن لها أثرها السياسي الكبير في لبنان، ويحتل بعض زعمائها مناصب رفيعة في الدولة اللبنانية إلى الآن.

لم يرتبط ظهور الحركة أولاً بظهور الجمهورية الإسلامية في إيران، وإنما يعود إلى عصر الشاه محمد رضا بهلوي، حيث كان يدعم فكرة بعث الشعور الديني الشيعي، واستعادة ولاء الطائفة للحوزة العلمية في قم، وبعد ذلك تعززت العلاقة مع أهداف الثورة الإيرانية والتزمت بالتالي بمبدأ ولاية الفقيه والتبعية للمرجعية الجمهورية الإسلامية بعد ذلك.

(ISSN : 2536 - 9555)

ولد الإمام موسى الصدر عام 1928 بمدينة قم، ودرس في مدراسها، وفي عام 1941، انتسب للحوزة العلمية، كعادة أبناء أسرة الصدر، ثم التحق بكلية الحقوق في جامعة طهران في عام 1950، أرسلته إيران إلى لبنان عام 1958، من أجل بعث الشعور الديني الشيعي المرتبط بالدولة الإيرانية آنذاك، حسبما ذكر الدكتور موسى الموسوي (إيران في ربع قرن، الصادر في 1972) ومذكرات شاهبور بختيار، آخر رئيس وزراء في عهد الشاه رضا بهلوي، ودراسات أخرى.

استخدم الصدر موارد مالية من داخل وخارج لبنان، فنفذ عدد من المشاريع الخيرية الناجحة، والموجهة للطبقات المحرومة من الشعب اللبناني، مثل جمعية البر والاحسان في مدينة صور، التي استطاعت القضاء على ظاهرة التسول في المدينة، وإنشاء مؤسسة عامة لرعاية الأيتام والفقراء وكبار السن، بالإضافة إلى بناء عدد من المدارس المهنية وفصول محو الأمية، وعدد من المستوصفات الطبية في ربوع لبنان، وقد أدت هذه الجهود غير المسبوقة على الساحة اللبنانية، إلى موافقة الرئيس فؤاد شهاب، على طلب موسى الصدر بالحصول على الجنسية اللبنانية في عام 1963، فأصبح الصدر مواطنا لبنانيا، وبدأ طورًا جديدًا من أطوار حياته الحافلة.

وحركة (أمل) هي اختصار أو نحت من حركة (أفواج المقاومة اللبنانية) والتي أعلن الصدر عن قياما في السادس من يوليو عام 1975، وأنها موجهة لمقاومة الأطماع الإسرائيلية في جنوب لبنان.

وفي ظروف غامضة اختفى السيد في أغسطس 1978 في ليبيا، وقامت بعد اختفائه بأربع سنوات الحرب في عام 1982 باجتياح إسرائيل الجنوب اللبناني، وهبت جميع الطوائف للمقاومة، ومن بينها حركة أمل، التي رفضت قطعيا الاستعانة بإيران في الصراع اللبناني– الإسرائيلي، ورفضت الوصاية التي تمارسها إيران، كلما ساندت فصيل من الشيعة في أي مكان، أدى ذلك إلى حدوث

انشقاقات عنيفة، حيث كان في الحركة أعضاء توالي الجمهورية الجديدة، فتمخض عن هذا الانشقاق، انفصال ثلاث حركات، عادت واندمجت مرة أخرى في تنظيم حزب الله تحت قيادة السيد حسن نصر الله بعد ذلك.

ففي عام 1985 أعلن رسميا ميلاد تنظيم (حزب الله)، ثم انشقت حركة أخرى بقيادة حسين موسوي، لنفس الأسباب المذكورة، وأطلقت على نفسها (حركة أمل الإسلامية) وعملت إيران على دمجها في حزب الله وتم ذلك بالفعل لتوحيد المرجعية، ثم انشقت عن أمل حركة أخرى بقيادة مصطفى الديراني، وأطلقت على نفسها (أفواج المقاومة المؤمنة)، واندمجت في حزب الله عام 2004. أما تنظيم حركة أمل اللبنانية الأم، فقد بقي منذ عام 1980 تحت رئاسة نبيه بري رئيس مجلس النواب اللبناني الحالي[48].

3- حركة حزب الله اللبناني[49]:

تعرف الحركة نفسها بأن نواتها تكونت من مجموعة من الإسلاميّن المنضوين تحت عدة فصائل، وأنه بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران ناقشوا كيفية الاستفادة من التجربة الإيرانية، فوجدوا أن التشكيلات التنظيمية التي يعملون فيها لا تلبي الطموحات التي يسعون إليها، بينما يرى آخرون أنها نتيجة طبيعية للجهود التي بذلها الخميني لصناعة الهلال الشيعي الذي كان يصرح برغبته في إقامة حزام شيعي والذي يتألف من إيران والعراق وسوريا ولبنان.

كما تذكر الحركة أنه في فترة الاجتياح الإسرائيلي للبنان، والذي شارك عدد من هؤلاء الإسلاميين في التصدي له على مشارف بيروت، لم يكن هناك أي تشكيل

---

(48) نقلا عن: المركز العربي للبحوث والدراسات – حركة أمل: نشأة الحركات الإسلامية العسكرية الشيعية في لبنان، http://www.acrseg.org/39212بتصرف واختصار.

(49) حزب الله تحت المجهر لعلي حسن باكير ص 17، 19. وموقع: http://ar.wikishia.net/view/%D8. بتصرف.

(ISSN : 2536 - 9555)

حزبي يجمعهم، فقوي الاهتمام بتشكيل إسلامي موحّد، ذو مبادئ إسلامية، ويعتمد العمل المقاوم، ويتولى القيادة الشرعية المتمثّلة في الولي الفقيه، فتابع ممثلون عن المجموعات الإسلامية الرئيسية مناقشة أفكارهم حول رؤيتهم للعمل الإسلامي في لبنان، وصاغوا ما توصلوا له في وثيقة، وحملوها إلى لإمام الخميني، فوافق عليها، واكتسبت الوثيقة شرعية تبني الولي الفقيه لها، ثم أنشئ تشكيل جديد يضم الإسلاميين الذين كانوا في السابق منتسبين إلى أكثر من حزب وجهة، وسمي التشكيل الجديد بحزب الله.

وقد عرف الحزب في بيانه التأسيسي والذي جاء بعنوان (من نحن وما هي هويتنا) في 16 شباط 1985م بنفسه قائلا (إننا أبناء أمة حزب الله التي نصر الله طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم... ونلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة عادلة تتمثل في بالولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسد حاضرا بالإمام المسدد آية الله العظمى روح الله الموسوي دام ظله، مفجر ثورة المسلمين، وباعث نهضتهم المجيدة)[50]. وهذا كله يؤكد أن المرجعية المطلقة الكاملة للحركة هي للمرشد الأعلى في إيران.

مبادئ الحركة.

1. الإيمان بالإسلام:

فالإسلام هو الرسالة الأخيرة والشاملة لكل الرسالات السماوية. وقد اعتمد الإسلام على قواعد وأحكام ثابتة لها علاقة بفطرة الإنسان وطبيعة تكوينه، وتنسجم مع متغيرات الزمان، فأحكام الإسلام منطبقة على الإنسان كفرد، بما يلائم مصلحته، بصرف النظر عن المكان والزمان.أما الأمور المتغيرة فيعالج الاجتهاد المفتوح في الشريعة كل متطلباتها، ويجيب عن الأسئلة والحوادث الواقعة، ويعيد

(50) راجع البيان التأسيسي لحزب الله 16 شباط 1985م.

النظر بما مضى من اجتهادات، ويأخذ الظروف المستجدة وأحكامها بعين الاعتبار، ما يوجد متسعاً لمواكبة التطور والمتغيرات.

2. إقامة الدولة الإسلامية:

إن مشروع إقامة الدولة الإسلامية حسب رؤية الحركة أحد التعابير الطبيعية لالتزام حزب الله الإسلامي، فهي تمثل العدالة التي يطمح إليها الإنسان، لكن الحزب يفصل بين الرؤية الفكرية والتطبيق العملي، فالرؤية الفكرية تدعو إلى إقامة الدولة الإسلامية، وتشجع الآخرين على قبولها لما تمثل من إسعاد للإنسان. أمَّا على المستوى العملي، فهذا الأمر يتطلب وجود الأرضية التي تتقبل إنشاء هذه الدولة، والأرضية هي الشعب، الذي من حقه أن يختار ما يريد تحكيمه في حياته، وعلى قاعدة الآية القرآنية{لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم}. فلا يمكن أن تكون إقامة الدولة الإسلامية من منطلق تبني فئة أو فريق، ثم يعمل هذا الفريق على فرضها أو فرض آرائه فيها على الفئات الأخرى.

وقد صدر أول تعبير رسمي بهذا المعنى في الرسالة المفتوحة، التي أعلنها حزب الله في سنة 1985، حيث قال:" لكننا نؤكد أننا مقتنعون بالإسلام عقيدة ونظاماً، فكراً وحكماً، وندعو الجميع إلى التعرف إليه والاحتكام إلى شريعته، كما ندعوهم إلى تبنيه والالتزام بتعاليمه على المستوى الفردي والسياسي والاجتماعي. وإذا ما أتيح لشعبنا أن يختار بحريّة شكل نظام الحكم في لبنان، فإنه لن يرجِّح على الإسلام بديلاً. ومن هنا فإننا ندعو إلى اعتماد النظام الإسلامي على قاعدة الاختيار الحر والمباشر من قبل الناس، لا على قاعدة الفرض بالقوة كما يُخيَّل للبعض."

(ISSN : 2536 - 9555)

3. ولاية الفقيه:

الارتباط بالولاية هو تكليف والتزام بالنسبة لحزب الله ويشمل جميع المكلَّفين، حتى عندما يعودون إلى مرجع آخر في التقليد. ولا خشية من التعارض مع ظروف المكلَّفين في البلدان المختلفة، فالحدود التي يضعها الولي الفقيه تأخذ بعين الاعتبار مسألتين:

تطبيق الأحكام الشرعية وعدم القيام بما يخالفها.

الظروف الموضوعية والخصوصيات لكل جماعة أو بلد، والتي تؤثر على دائرة التكليف ومساحة الاهتمام.

والتزام حزب الله بولاية الفقيه يعني العمل في دائرة الإسلام وتطبيق أحكامه، وهو سلوك في إطار التوجهات والقواعد التي رسمها الولي الفقيه. ثم تكون الإدارة والمتابعة ومواكبة التفاصيل والجزئيات، والقيام بالإجراءات المناسبة، والعمل السياسي اليومي، والحركة الثقافية الاجتماعية، بل والجهاد ضد المحتل الإسرائيلي بتفاصيله، من مسؤولية القيادة المنتخبة من كوادر الحزب بحسب النظام الداخلي المعتمد، والتي تتمثل بالشورى التي يرأسها الأمين العام، والتي تحصل على شرعيتها من الفقيه، فيكون لها من الصلاحيات الواسعة والتفويض ما يساعدها على القيام بمهامها، ضمن هامش ذاتي وخاص ينسجم مع تقدير الشورى للأداء التنفيذي النافع والمفيد لساحة عملها. وتنعكس هذه الصلاحيات استقلالاً كبيراً في الأداء العملي، ولا حاجة لمتابعة يومية من الولي الفقيه، فإذا واجهت قيادة الحزب قضايا كبرى تشكِّل منعطفاً في الأداء، أو تؤثِّر على قاعدة من قواعد العمل، أو تعتبر مفصلاً رئيساً، أو تتطلب معرفة الحكم الشرعي فيها، عندها تبادر إلى السؤال أو أخذ الإذن لإضفاء الشرعية على الفعل أو عدمه.

يترتب على ارتباط الحزب بولاية الفقيه: الحصول على شرعية العمل خاصة فيما يتعلق بالخط السياسي العام، وبالتكليف المتعلق بالحرب والسلم، وبالعودة إلى

القيادة الواحدة التي تنظر إلى العالم الإسلامي وإلى الحركات الإسلامية بنظرة شمولية، ما يجعلها قادرة على أن تنسق بينها وتواكب أهدافها لتنسجم مع هدف الإسلام ومع وحدة الأمة الإسلامية.

4. الجهاد في سبيل الله:

يؤمن الحزب بأن الجهاد في سبيل الله قوام حركته وأصل نشأته، ويعتقد بأن الآثار المترتبة على الجهاد تكون على مستوى الفرد وعلى مستوى الأمة, فالفرد المجاهد عند الله أعظم درجة و أكثر فضلاً وأجراً , و الأمة المجاهدة هي أمة مقتدرة ومهابة ولها مكانتها بين الأمم، ويؤكد الحزب على أن خيار الجهاد يوصل لانتزاع الحقوق و استردادها وهو السبيل الطبيعي لمواجهة الظلم. وبناء على هذا فقد انخرط في عمل المقاومة لا سيما في الجنوب اللبناني، والتي كان آخرها حرب تموز 2006 مع الكياني الصهيوني.

وقد نمت الخبرة العسكرية عند بالحركة بشكل سريع، فبالإضافة إلى ما تم اكتسابه من تجارب سابقة، فقد وجهت الحركة تشكيلات للتخصص في الاستطلاع والمدفعية والهندسة وغيرها، وقد اعتمدت على استراتيجية لا تقتصر فيها أعمال المقاومة على المتفرغين، بل تمت الاستفادة من تشكيلات التعبئة العامة في العمليات والمرابطة لفترة محدودة ومتكررة، بما ينسجم مع الظروف العملية لعناصر التعبئة، الذين يمارسون حياتهم اليومية بشكل طبيعي في الجامعات أو في أعمالهم المعيشية. سواء أكانوا مهندسين أو موظفين أو عاملين في القطاع الخاص، وهذا ما أمن لها طاقة شابة واسعة، فلم يكن عدد المنتسبين إلى المقاومة مشكلة في يوم من الأيام.

ومن أشهر رموز الحركة: الشيخ صبح الطفيلي، والسيد عباس الموسوي، والسيد حسن نصر الله الأمين الحالي للحزب.

(ISSN : 2536 - 9555)

هذه هي بعض أهم التيارات الشيعية الإمامية في الواقع المعاصر، وسوف نتعرض لها ولغيرها قريبا من حيث نقاط الاتفاق والاختلاف.

ثانيا: التعريف بالزيدية

الزيدية: هي إحدى فرق الشيعة، ترجع نبتها إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين والذي صاغ نظرية شيعية في السياسة والحكم، وقد جاهد من أجلها وقتل في سبيلها، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

وزيد هو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهما، قاد ثورة شيعية في العراق ضد الأمويين أيام هشام بن عبد الملك، فقد دفعه أهل الكوفة لهذا الخروج ثم ما لبثوا أن تخلوا عنه وخذلوه عندما علموا بأنه لا يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر ولا يلعنهما، بل يترضى عنهما، فاضطر لمقابلة جيش الأمويين وما معه سوى 500 فارس حيث أصيب بسهم في جبهته أدى إلى وفاته عام 122هـ، وأخوه الأكبر هو محمد الباقر الذي يعد أحد الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية.

أهم خصائص المذهب الزيدي

1. يُجيزون الإمامة في كل أولاد فاطمة، سواء أكانوا من نسل الإمام الحسن أم من نسل الإمام الحسين رضي الله عنهما، وفي ذلك يقول الشهرستاني: (ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماماً واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أو من

أولاد الحسين رضي الله عنهما، وجوزوا إمامة المفضول مع وجود الأفضل) [51]

2. الإمامة لديهم ليست بالنص، إذ لا يشترط فيها أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق، بمعنى أنها ليست وراثية بل تقوم على البيعة، فمن كان من أولاد فاطمة وفيه شروط الإمامة كان أهلاً لها.
3. يجوز لديهم وجود أكثر من إمام واحد في وقت واحد في قطرين مختلفين.
4. تقول الزيدية بالإمام المفضول مع وجود الأفضل إذ لا يُشترط أن يكون الإمام أفضل الناس جميعاً بل من الممكن أن يكون هناك للمسلمين إمام على جانب من الفضل مع وجود من هو أفضل منه على أن يرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا التي يدلي برأيه فيها.
5. معظم الزيدية المعاصرين يُقرُّون خلافة أبي بكر وعمر، ولا يلعنونهما كما تفعل فرق الشيعة، بل يترضون عنهما.

يميلون إلى الاعتزال فيما يتعلق بذات الله، والاختيار في الأعمال. ومرتكب الكبيرة يعتبرونه في منزلة بين المنزلتين كما تقول المعتزلة، وذلك لأن زيد بن علي تتلمذ في الأصول على واصل بن عطاء[52].

6. باب الاجتهاد مفتوح لكل من يريد الاجتهاد، ومن عجز عن ذلك قلد، وتقليد أهل البيت أولى من تقليد غيرهم.

وقد افترقوا عن "الإمامية" "الرافضة" حينما سئل زيد عن أبي بكر وعمر فترضى عنهما فرفضه قوم، فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من

(51) الملل والنحل 154/1.
(52) المصدر السابق 155/1.

(ISSN : 2536 - 9555)

الشيعة زيدية لانتسابهم إليه، وذلك في آخر خلافة هشام سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين ومائة[53].

وينقسم الزيدية إلى ثلاث فرق على أشهر الأقوال[54]:

1- **الجارودية:** وهم أتباع المعروف بأبي الجارود واسمه زياد الكوفي، وهم القائلون إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- نص على علي- رضي الله عنه- بالإشارة والوصف دون التسمية والتعيين، وأنه أشار إليه ووصفه بالصفات التي لا توجد إلا فيه، وأن الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غيره، وأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نص على الحسن والحسين عليهما السلام بمثل نصه على علي. ثم الإمام بعد هؤلاء الثلاثة ليس بمنصوص عليه ولكن الإمامة شورى بين الأفاضل من ولد الحسن والحسين ممن شهر منهم سيفه، ودعا إلى سبيل ربه، وباين الظالمين وكان صحيح النسب من هذين البطنين وكان عالماً زاهداً شجاعاً فهو الإمام[55].

2- **السليمانية:** وتعرف أيضا بالجريرية وهم الذين قالوا (إن عليّاً كان الإمام بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأن بيعة أبي بكر وعمر كانت خطأ لا يستحقان عليه اسم الكفر ولا اسم الفسوق، وأن الأمة قد تركت الأصلح، وبرئت من عثمان -بسبب إحداثه- وشهدت عليه وعلى من حارب عليّاً بالكفر) [56]

---

(53) منهاج السنّة لابن تيمية 21/1.

(54) انظر الفرق بين الفرق ص 22، والملل والنحل 157/1.

(55) انظر الملل والنحل 1/ 158.

(56) انظر الحور العين لنشوان الحميري ص 155.

3- **البترية:** وهم القائلون: إن عليّاً عليه السلام كان أفضل الناس بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأولاهم بالإمامة، وأن بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ لأن علياً (سلم لهما ذلك بمنزلة رجل كان له حق على رجل فتركه له، ووقفت في أمر عثمان، وشهدت بالكفر على من حارب عليّاً. وسموا البترية لأنهم نسبوا إلى كثير النوى وكان كثير يلقب بالأبتر [57].

ومعلوم أن الزيدية هم أقرب الطوائف الشيعية إلى مذهب أهل السنة، كما قرر عدد من علماء السنة، وأن الأصل فيهم عدم لعن الصحابة، وقد يظهر ذلك من بعضهم تأثرا بالإمامية في بعض الفترات، لكنه ليس أصلا فيهم؛ وذلك ظاهر بالرجوع إلى موقف الإمام زيد بن علي في هذه المسألة، ويقول المقبلي في كتاب العلم الشامخ، مؤكدا على هذه الحقيقة: (إن الزيدية ليسوا من الرافضة بل ولا من غلاة الشيعة في عرف المتأخرين ولا في عرف السلف، فإنهم الآن مستقر مذهبهم الترضي على عثمان وطلحة والزبير وعائشة – رضي الله عنهم – فضلاً عن الشيخين) [58] وقد اختفت نزعات التكفير لبعض الصحابة التي عرف بها بعض فرق الزيدية المار ذكرها، وأكثر انتشار الزيدية في واقعنا المعاصر في دولة اليمن الشقيق، وتتمثل أكبر تياراتها الحركية في الحركة الحوثية.

الحوثيون

هي حركة سياسية دينية مسلحة اتخذت من صَعدة شمال اليمن مركزا رئيسيا لها، عرفت في الاعلام باسم الحوثيين نسبة إلى مؤسسها بدر الدين الحوثي ويعد المرشد الديني للجماعة، هو تيار زيدي أعلن عن نفسه في العام 1990م، باسم الشباب المؤمن، كإطار تربوي وثقافي في البداية، ثم تحول إلى حزب اسمه "حزب

(57) السابق.
(58) العلم الشامخ ص 326.

(ISSN : 2536 - 9555)

الحق" ثم انتقل لبعض العوامل إلى تنظيم مسلح سنة 2004م. وبرز في فترة التسعينات اسم حسين بدر الدين الحوثي ابن المؤسس كأبرز القادة السياسيين فيه، ودخل مجلس النواب سنة 1993م، وكذلك في سنة 1997م.

والحوثيون: هي نسبة إلى الحوث وهي بلدة من العصيمات إحدى بطون قبيلة حاشد، تقع في منتصف الطريق بين صعدة شمالا وصنعا جنوبا، وهي منطقة فيها أكبر تجمع للزيدية في اليمن.

وقد أكد نجله محمد بدر الدين أن حركتهم مستمدة من مذهبهم الزيدي الأصيل حيث قالردا على من شكك في ذلك: (نحن لب الزيدية عقيدة وفكراً وثقافة وسلوكاً، ونسبة الزيدية إلى الإمام زيد بن علي عليه السلام هي نسبة حركية وليست نسبة مذهبية كما هي بالنسبة لأتباع الإمام الشافعي وغيره من أئمة المذاهب، ومن ادعى أننا خارجون عن الزيديةسواء بهذا المفهوم الذي ذكرناه أو غيره، فعليه أن يحدد القواعد التي من خلالها تجاوزنا المذهب الزيدي وخرجنا عنه ولكن بمصداقية وإنصاف، أما من يدعي أننا إثنا عشرية فهو جهل واضح لأن لكل مذهب أصولاً وقواعد تميزه عن المذاهب الأخرى، ومن لم ينطلق من تلك الأصول والقواعد فليس تابعاً لذلك المذهب، وإن كان هناك قواسم مشتركة بيننا وبين الاثنا عشرية فهي موجودة كذلك بيننا وبين بقية المذاهب كلها، فالذي يرى أننا اثنا عشرية بمجرد إقامة عيد الغدير، أو ذكرى عاشوراء أو نحو هذا فهو جاهل ومغفل لا يستحق النقاش معه)[59]. ولعل ذلك جاء بعد انتقادات كثيرة كانت قد بدأت مع تأليف المؤسس بعض الكتب التي فيها دفاعا عن بعض العقائد الاثنى عشرية، ولا غرابة في ذلك لأن بدر الدين هو من فرقة الجارودية التي تتقارب مع الاثنى عشرية في عدد من المبادئ، وهي أكثر تشددا من فرق الزيدية الأخرى من جهة العقائد، وقد

(59) من هم الحوثيون، مقال لمحمد بدر الدين الحوثي نشر في صحيفة يمن برس بتاريخ 2007/9/6.

تطور الأمر لما ألف بدر الدين كتابه (الزيدية في اليمن) وصرح فيه بالدفاع عن المذهب الاثنى عشري فقامت الخصومات بينه وبين منتقديه أدت إلى اضطراره السفر إلى إيران والإقامة بها عدة سنوات(60).

وكان تأسيس الحركة نتيجة أيضا لمايشعرون أنه تهميش وتمييز ضد الهاشميين من الحكومة اليمنية، وشعور كذلك بتنامي الفكر الوهابي في المحيط الزيدي الأمر الذي عده بدر الدين خطرا على أبناء هذا المذهب فألف كتبا في الرد على رموز الوهابية وعلى رأسهم مقبل بن هادي الوادعي، فألف (تحرير الأفكار) وكتاب (الغارة السريعة) وغيرهما من الكتب مناهَضةً للفكر الوهابي في البلاد.

أما عن نفوذ الحركة في اليمن فقد توسعت دائرة أنشطتهم في الآونة الأخيرة بفعل التسليح والتدريب العسكري الجيد، فضلا لاستقطابهم قبائل وعشائر زيدية، وتحالفهم مع كتائب الجيش الموالية للرئيس السابق علي عبد الله صالح، ليشمل بعد ذلك نفوذهم كل محافظات اليمن الشمالي، بعد أن كانت تفاعلاتهم الدينية والسياسية والاجتماعية منحصرة في محافظة صعدة شمال البلاد(61). وما زالت الحرب مندلعة بين تحالفهم وبين المملكة العربية السعودية وحلفائها إلى الآن، والتي بدأت منذ العام 2015، وعرفت بعاصفة الحزم.

(60) انظر: ماذا تعرف عن الحوثيين لعلي الصادق ص 11.

(61) من مقال لمحمد قنفودي بعنوان: الزيدية والحوثيين.. وتقاطعات السياسة والدين. نشرته جريدة الرأي اليوم بتاريخ 2015/4/15.

(ISSN : 2536 - 9555)

الفصل الثالث

التيارات الصوفية

تعريف التصوف لغة:

للتصوف عدة اشتقاقات فقيل إنه اشتق من:

1- من الصفاء: وقد ذهب الكلاباذي في التعرف لمذهب أهل التصوف ص 24 إلى أن أصل الصوفية ينتسبون إلى الصفاء وأنهم سموا صوفية لصفاء أسرارهم وشرح صدورهم وضياء قلوبهم، وفي هذا أنشد الأمام تقي الدين السبكي لأبي الفتح البستي:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا**قدما و ظنوه مشتقا من الصوف

ولست انحل هذا الاسم غير فتى**صافي فصوفي حتى لقب الصوفي

2- وذهب قوم إلى أن كلمة الصوفية نسبة إلى الصوف وذلك لأن النسبة إلى الصوف صوفي وممن رجح هذا القول ابن تيمية – رحمه الله – في الفتاوى والسهروردي في عوارف المعارف وابن خلدون في مقدمته وكذلك القشيري – رحمه الله – في رسالته وحجتهم على صحة هذه النسبة: أن الصوف لباس الأنبياء وخاصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيدنا عيسى عليه السلام وهو لباس الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والصوفية المتقدمين رحمهم الله تعالى وأن لبس الصوف هو أقرب إلى التواضع والخمول والذل.

3- وقال آخرون إن كلمة الصوفية نسبة إلى أهل الصِّفة وهم جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ينزلون في مكان خلف الحجرات في المسجد النبوي وعرف المكان باسمهم وكانوا متفرّغين للعبادة وللمجاورة وهم فقراء المهاجرين الذين ليس لهم مأوى.

4 – وقالوا نسبة الصوفية إلى (سوفيا) اليونانية ومعناها الحكمة , والقائلين بذلك حجتهم أن القوم كانوا طالبين للحكمة حريصين عليها فأطلقت عليهم الكلمة وعربت أو حُرِّفت فأصبحت صوفية وصوفي(62).

5– وقيل أنه من الصِفة إذ جُملته الاتصاف بالمحامد وترك الصفات المذمومة.

6–وقيل أنهم ينتسبون إلى الصفوة باعتبارهم صفوة الله من خلقه وإنهم النخبة المصطفاة من الأمة.

إن اشتقاقة من الصفاء، لأن مداره على التصفية، أو من الصفوة (الكاملين) لأنه اتصاف بالكمالات، أو من صُفَّة المسجد النبوي، لأن الصوفية متشبهون بأهل الصفة في التوجه والانقطاع، وليس هذا اشتقاقاً وإنما هو من قبيل النسبة لأهل الصفة، أو من الصوف لأن جل لباسهم الصوف تقللاً من الدنيا وزهداً فيها، واختاروا ذلك لأنه كان لباس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والنسبة إليها لغة صحيحة

وقد اختار الإمام أحمد بن عجيبة رحمه الله في كتابه "إيقاظ الهمم في شرح الحكم" الاشتقاق الثاني فقال: (هذا الاشتقاق أليق لغة وأظهر نسبة، لأن لباس الصوف حكم ظاهر على الظاهر ونسبتهم إلى غيره أمر باطن، والحكم بالظاهر أوفق وأقرب).

ويرى الإمام القشيري، في الرسالة القشيرية ص183: أن التصوف اسم عَلم على طائفة الصوفية بغض النظر عن اشتقاق الكلمة والأصل الذي أُخِذت عنه.

ومعناه عند علماء اللغة التأله والتنسك، قال الزبيدي: وتَصَوَّفَ: تَنَسَّكَ، أَو ادَّعاهُ[63].

(62) نشأة الفلسفة الصوفية ص108.

(ISSN : 2536 - 9555)

وقال الجرجاني في التعريفات ص 95: (التصوف: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرًا، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، وباطنًا، فيرى حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل للمتأدب بالحكمين كمالٌ. والتصوف: مذهب كله جد، فلا يخلطونه بشيء من الهزل).

تعريف التصوف اصطلاحا:

قال القاضي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحم الله تعالى (التصوف علم يعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية) [64].

ويقول الشيخ أحمد بن زروق رحمه الله تعالى في كتاب قواعد التصوف في القاعدة الثالثة عشر (التصوف علم قصد لإصلاح القلوب وإفرادها لله تعالى عما سواه، والفقه لإصلاح العمل وحفظ النظام وظهور الحكمة بالأحكام والأصول، وعلم التوحيد لتحقيق المقدمات بالبراهين وتحلية الإيمان بالإيقان كالطب لحفظ الأبدان وكالنحو لإصلاح اللسان إلى غير ذلك).

وذكر الأمام الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى أن التصوف هو: "الخروج عن كل خُلُق دَنِيّ, والدخول في كل خُلُق سَنيّ"[65] وسئل رحمه الله أيضا عن التصوف فقال: "اسم جامع لعشرة معاني: التقلل من كل شيء من الدنيا عن التكاثر فيها, والثاني: اعتماد القلب على الله عز وجل من السكون إلى الأسباب, والثالث: الرغبة في الطاعات من التطوع في وجود العوافي , والرابع: الصبر عن فقد الدنيا عن الخروج إلى المسألة والشكوى, والخامس: التمييز في الأخذ عند

---

(63) تاج العروس 42/24.
(64) شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على الرسالة القشيرية ص 7.
(65) حلية الأولياء 22/1.

وجود الشيء, والسادس: الشغل بالله عز وجل عن سائر الأشغال, والسابع: الذكر الخفي عن جميع الأذكار , والثامن: تحقيق الإخلاص في دخول الوسوسة, والتاسع: اليقين في دخول الشك , والعاشر: السكون إلى الله عز وجل من الاضطراب والوحشة , فإذا استجمع هذه الخصال استحق بها الاسم , وإلا فهو كاذب"[66].

ويقول الإمام أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى "التصوف تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية"[67]

الإمام وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى: "التصوف هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك , وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل وأوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة".

وقال الشيخ الدردير في شرحه على الخريدة البهية: وحد التصوف عِلمًا: هو علم بأصول يعرف بها صلاح القلب وسائر الحواس.

وعملا هو الأخذ بالأحوط من المأمورات، واجتناب المنهيات، والاقتصار على الضروريات من المباحات.

ويقال: هو الجد في السلوك إلى ملك الملوك، ويقال: هو حفظ الحواس ومراعاة الأنفاس[68].

وعرفه حاجي خليفة في كشف الظنون بقوله: هو علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال، من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم، والأمور العارضة لهم في درجاتهم، بقدر الطاقة البشرية[69].

---

(66) حلية الأولياء 21/1.
(67) نور التحقيق في صحة أعمال الطريق، للشيخ حامد صقر الشاذلي ص 93.
(68) شرح الشيخ الدردير على الخريدة البهية ص 309.

(ISSN : 2536 - 9555)

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء تعريفا للتصوف في كل ترجمة من تراجم كتابه تقريبا وفي كتابه أكثر من ألفي ترجمة، وذلك راجع لخصوصية هذا العلم المتمثل في أنه متعلق بالأذواق، فإن كانت أصوله واحدة، إلا أن وجوهه كما يقرر علماؤهم تتعدد حسب أذواق ومواجيد كل سالك إلى الله تعالى، ولذلك قالوا (الطرائق، –يعني إلى الله تعالى– بعدد أنفاس الخلائق). وهذا هو السر في كثرة التعريفات للتصوف الإسلامي، مع إمكانية إرجاعها جميعا إلى دائرة تزكية النفس التي هي الأساس الذي ينطلق منه الصوفيون في سائر معاملاتهم.

التأريخ للتسمية:

قال الإمام القشيري– رحمه الله– : "اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَتَسمَّ أفاضلهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله عليه الصلاة والسلام, إذ لا أفضلية فوقها فقيل, لهم الصحابة ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس، ممن لهم شدة عناية بأمر الدين . الزهاد والعباد ثم ظهرت البدعة وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادَّعوا أن فيهم زهاداً, فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى, الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف, واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المأتين من الهجرة"[(70)]. وقال ابن خلدون متحدثا عن ظروف نشأة هذه التسمية: "فلما نشأ الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصوفيّة والمتصوّفة"[(71)].

---

(69)كشف الظنون 414/1.

(70) الرسالة القشيرية ص 34.

(71) مقدمة ابن خلدون ص 611.

وقد ذكر حاجي خلفية في كشف الظنون أن أول من سمي بالصوفي هو أبو هاشم الصوفي الكوفي المتوفى سنة خمسين ومائة[72] الذي قال فيه سفيان الثوري رحمه الله: لولا أبو هاشم ما عرفت دقيق الرياء.

وقيل إنه كان لقبا معروفا في الصدر الأول حيث ذكر السراج في "اللمع" شعرا لمعاوية بن أبي سفيان قال فيه:

قد كنت تشبه صوفيا له كتب***من الفرائض أو آيات قرآن[73].

أهمية التصوف وأصالته.

يقرر علماء الشريعة أن الدين يتكون من عقائد وعبادات تتعلق بعمل المكلف وأخرى تتعلف بنفس المكلف، والآيات والأحاديث التي جاءتنا في هذا القسم الأول كثيرة جداً وتشمل كل آية وحديث يتكلم في موضوع الإيمان وأركانه وصفات الإلوهية والربوبية والموت وملحقاته والروح والإيمان بالله والملائكة والرسل والكتب السماوية واليوم الآخر والقدر خيره وشره وكل الغيبيات وقد سمي هذا العلم بعلم العقيدة، وعلم التوحيد، وعلم أصول الدين، وعلم الكلام، وعلم الفقه الأكبر، كما مقرر في كتب هذا الفن.

وقسم ثان يتعلق بأعمال المكلف ويشتمل على علاقته مع نفسه ومع غيره ومع ربه جل وعلا والآيات والأحاديث التي جاءتنا في هذا القسم كثيرة جداً أيضا وتشمل كل آية وحديث يتكلم في موضوع الحلال والحرام والمستحب والمكروه والمندوب والمباح ويشمل جميع العبادات والمعاملات والحدود والجنايات والأحوال الشخصية والبيوع والزراعة وأركان الإسلام والحكم والقضاء وغيره وقد سمي هذا العلم بعلم الفقه.

---

(72)كشف الظنون 414/1.

(73) انظر أصول الوصول للإمام الرائد محمد زكي الدين إبراهيم ص 339.

(ISSN : 2536 - 9555)

وقسم ثالث يتعلق بنفس المكلف، وذلك من حيث تزكيتها من كل الصفات الذميمة السيئة وتحليتها بالصفات الحميدة والآيات والأحاديث في هذا الجانب كثيرة أيضا، وتشمل كل آية وحديث عن الجانب الأخلاقي والآداب الإسلامية، وهو الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم المقصد من بعثته صلى الله عليه وسلم، فقد قال عليه الصلاة والسلام (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

وهذه الأقسام الثلاثة كلها تتجلى في حديث جبريل عليه السلام الذي رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهيئة رجل ليُعلم الصحابة دينهم فسأل عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان وكل واحد من هؤلاء يُمثل قسم من العلوم التي ذكرناها ويظهر هذا الجانب السلوكي في حديث جبريل عند سؤاله عن الإحسان، فيتبين أنَّ التصوف (أصل الإحسان) منبعه وحي سماوي بحديث صحيح متواتر

ويتلخص مما سبق أن التصوف هو مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم، فالإسلام طاعة وعبادة , والإيمان نور وعقيدة , والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وأن هذا القسم الثالث الوارد في الحديث هو الأصل الذي يقوم عليه علم التصوف، وأن الإنسان لا يتحقق به إلا من خلال الفهم الصحيح مع التطبيق العملي لهذه المفاهيم التزكوية، كما قال ابن عجيبة في أوائل شرحه على الحكم: وأعلم أن هذا العلم الذي ذكرنا ليس هو اللقلقة باللسان، وإنما هو أذواق ووجدان، ولا يؤخذ من الأوراق، وإنما يؤخذ من أهل الأذواق، وليس ينال بالقيل والقال، وإنما يؤخذ من

خدمة الرجال، وصحبة أهل الكمال، ووالله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح وبالله التوفيق.[74]

حكم سلوك طريق التصوف.

نقل ابن عجيبة كلام بعض كبار الصوفيه في أن حكم سلوك التصوف بهذا المفهوم هو الوجوب الشرعي فقال: (وأما حكم الشارع فيه فقال الغزالي: إنه فرض عين، إذا لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياءعليهم السلام وقال الشاذلي من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراًعلى الكبائر وهو لا يشعر... قال الشيخ السنوسي: النفس إذا غلبت كالعدو إذا فجأ تجب مجاهدتها والاستعانة عليها، وإن خالف الوالدين، كما في العدو أذا برز) [75]

وقد حدد فضيلة الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري أسباب وجوب سلوك التصوف في ثمان نقاط محددة اختصرناها من رسالته المسماة "حُسْنُ التَّلَطُّفِ فِي بَيَانِ وُجُوبِ سُلُوكِ التَّصَوُّفِ" فقال:

(وسلوك طريق التصوف واجب محتم لا يكمل دين المرء إلا به، وبيان ذلك من وجوه:

{الأول}: أنه مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة المبينة في حديث جبريل الطويل، ولا شك أن الدين يجب اتباعه بجميع أركانه الإيمان والإسلام والإحسان.

وجاء في إحدى فتاوى والدي رضي الله عنه في هذا الموضوع ما نصه:وأما أول من أسس الطريقة، وهل تأسيسها بوحي؟ فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي إذ هي بلا شك مقام الإحسان

(74) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة الحسني ص 23.
(75) المصدر السابق ص 12.

(ISSN : 2536 - 9555)

الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما بينها واحدًا واحدًا ديناً فقال (هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم)؛ فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان ليحرز الداخل فيها والمدعو إليها مقامات الدين الثلاثة الضامنة لمحرزها والقائم بها السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة والضامنة أيضًا لمحرزها كمال الدين فإنه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة فمن أخل بمقام الإحسان الذي هو الطريقة فدينه ناقص بلا شك لتركه ركناً من أركانه؛ ولهذا نص المحققون على وجوب الدخول في الطريقة وسلوك طريق التصوف وجوبًا عينيا.

{الوجه الثاني}: أن التصوف هو العلم الذي تكفل بالبحث عن علل النفوس وأدوائها وبيان علاجها ودوائها لتصل إلى مرتبة الكمال والفلاح وتدخل في ضمن قوله تعالى (قد أفلح من زكاها) ولا شك أن علاج النفس من أمراضها وأدرانها أمر يوجبه الشرع القويم ويستحسنه العقل السليم، ولولا ذلك لما كان هناك فرق بين الإنسان والحيوان.

{الوجه الثالث}: أن التصوف عني بتهذيب الأخلاق وتزكيتها ومخالفة هوى النفس والأخذ بعزائم الأمور والارتفاع بالنفس عن حضيض الشهوات إلى حيث تتمتع بما تورثه الطاعة من لذة روحية تصغر بجانبها كل لذة مهما عظم قدرها.

{الوجه الرابع}: أن التصوف هو خلق الصحابة والتابعين والسلف الصالح الذي أمرنا بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم، وقد بين ذلك والدي رضي الله عنه في فتواه التي نقلنا منها آنفًا، فقال عقب كلامه السابق ما نصه: وأما قولك هل لما أسست الطريقة...إلخ، فجوابه يعلم مما قبله فإنها إذا كانت من الدين بل وهي أشرف أركانه وكانت بوحي كما قلناه، وكان الصحابة بالحالة التي بلغتنا عنهم تواترًا من المسارعة إلى امتثال أمر الله، كانوا بالضرورة أول داخل فيها وعامل بمقتضاها وذائق لأسرارها وثمراتها ولهذا كانوا على غاية ما يكون من الزهد في الدنيا

والمجاهدة لأنفسهم ومحبة الله ورسوله والدار الآخرة والصبر والإيثار والرضا والتسليم وغير ذلك من الأخلاق التي يحبها الله ورسوله وتوصل إلى قربهما وهي المعبر عنها بالتصوف والطريقة،... وكان ابتداء ذلك في أواخر المائة الأولى من الهجرة ولم يزل ذلك يزيد سنة بعد سنة إلى أن وصل ذلك إلى حالة تخوف منها السلف الصالح على الدين، فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ هذا الدين الشريف، فقامت طائفة منهم بحفظ مقام الإسلام وضبط فروعه وقواعده، وقامت أخرى بحفظ مقام الإيمان وضبط أصوله وقواعده على ما كان عند سلفهم الصالح، وقامت أخرى بحفظ مقام الإحسان وأعماله وأحواله، فكان من الطائفة الأولى الأئمة الأربعة وأتباعهم رضي الله عنهم وكان من الطائفة الثانية الأشعري وأشياخه وأصحابه وكان من الثالثة الجنيد وأشياخه وأصحابه، فعلى هذا ليس الجنيد هو المؤسس للطريقة لما ذكرناه من أنها بوحي إلهي؛ وإنما نسبت إليه لتصديه لحفظ قواعدها وأصولها ودعائه للعمل بذلك عندما ظهر التأخر عنها؛ ولهذا السبب نفسه نسبت العقائد للأشعري والفقه للأئمة الأربعة بالرغم من أن الجميع بوحي من الله تعالى.اهـ.

{الوجه الخامس}: أن في سلوك الطريق صحبة المشايخ الكمل والاقتداء بهم والاهتداء بهديهم وقد أمر الله بذلك في قوله تعالى (واتبع سبيل من أناب إليّ).

قال الإمام زروق: والإنابة لا تكون إلا بعلم واضح وعمل صحيح وحال ثابت لا ينقضه كتاب ولا سنة.

{الوجه السادس}: أن سلوك الطريق ينور بصيرة الشخص ويسمو بهمته حتى لا يبقى له تعلق إلا بالله ولا يكون له اعتماد إلا عليه فيصير مصون السر عن الالتفات إلى الخلق مرفوع الهمة عن تأميلهم اكتفاء بالحق متحققًا بالحقيقة في جميع الأحوال متوسمًا بالشريعة في الأقوال والأفعال، وهذا أعلى ما يطلب من المؤمن وإليه أشار عليه الصلاة والسلام بقوله لابن عباس: (إذا سألت فاسأل الله

(ISSN : 2536 - 9555)

وإذا استعنت فاستعن بالله) وبايع الصحابة –منهم ثوبان مولاه والصديق صاحبه– على ألا يسألوا الناس شيئًا؛ وذلك لرفع الهمة عن الخلق والاكتفاء بالالتجاء إلى الحق.

{الوجه السابع}: أن في سلوك الطريق بصحبة شيخ مرشد عارف خروجًا من رعونات النفس وحماية للمريد من كل ما يمنعه من الوصول إلى الله تعالى من أنواع الجهل والغرور ودواعي الهوى الموقعة في ظلمة القلب وإطفاء النور.

{الوجه الثامن}: أن في سلوك الطريق الإكثار من ذكر الله والاستعانة بصحبة الشيخ على ذلك، (ألا بذكر الله تطمئن القلوب] ولا شك أن الذكر يصفي القلوب ويدعو إلى اطمئنانها كما قال تعالى وكل أَمْرٍ أَمَرَ الله به في القرآن جعل له حدا وشرطًا ونهايةً إلا الذكر؛ فإن الله تعالى لم يقيده بحد ولا شرط ولا نهاية حيث قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلاً). فلهذه الوجوه التي ذكرناها وغيرها كان سلوك طريق التصوف واجباً والانخراط في سلك أهله أمرًا لازمًا، ونحن لا ننكر أنه دخل في الطريق دخلاء أدعياء وجهلاء أغبياء، اتخذوا الطريق سلمًا لتحصيل أغراضهم وشهواتهم وابتدعوا فيه بدعًا ما أنزل الله بها من سلطان وزعموا أنهم أهل الحقيقة يجوز لهم ما يكون محرمًا في الشريعة وكذبوا؛ فإن الشريعة والحقيقة صنوان وما خالفت الشريعة الحقيقة قط إلا في نظر جاهل، فمثل هؤلاء ليسوا من الصوفية في شيء). [76]

أبرز أعلام التصوف:

ولقد اشتهر عدد من أعلام الإسلام بتقدمهم في هذا العلم الشريف منهم: سيد التابعين الحسن البصري، وسيد الطائفة أبو القاسم الجُنَيْد، وذو النُّونِ المصري، ومعروف الكَرخِي، وبِشر الحافي، وسهل التُّسْتَرِي، والحارث بن أسد المُحاسِبي،

(76) حُسْنُ التَّلَطُّفِ فِي بَيَانِ وُجُوبِ سُلُوكِ التَّصَوُّفِ، للسيد عبد الله بن الصديق الغماري.

والقُشَيري صاحب الرسالة، و حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، وسلطان العلماء العز بن عبد السلام وغيرهم كثير، ومن الملاحظ أن كبار فحول الإسلام في كل قرن لهم اعتناء بارز في هذا العلم.

ومن علمائنا المعاصرين: الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق، وإمام الدعاة الشيخ محمد متولي الشعراوي، والإمام الرائد محمد زكي الدين إبراهيم، والعلامة الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي، رحمهم الله جميعا، وغيرهم كثير.

أصول التصوف:

ونظرا للخصوصية التي ذكرناها آنفا للتصوف مما كان سببا لكثرة تعريفاته، فإن الناظر في كلامهم عن أصول التصوف مختلفة العبارات، لكن يمكن إرجاعها إلى التأكيد على ضرورة التمسك بالكتاب والسنة وحسن الخلق مع الحق تعالى والخلق والنفس في كل أحوال السلوك.

قال الإمام الجنيد رحمه الله: "من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة"[77].

وقال أيضا مؤكدا على هذا المعنى: "الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم"[78].

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله مبينا أصول التصوف: "أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق. وقال أيضا:

---

(77) الرسالة القشيرية ص 79.

(78) السابق.

(ISSN : 2536 - 9555)

من كان اقتداؤه بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في قلبه اختيار لشيء من الأشياء، ولا يجول بقلبه سوى ما أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم"[79].

وقال أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصرآباذي رحمه الله: "أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، وحسن صحبة الرفقاء، والقيام بخدمتهم، واستعمال الأخلاق الجميلة، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات، وما ضل أحد في هذا الطريق إلا بفساد الابتداء، فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء"[80].

وقال السري السقطي رحمه الله: "قليل في سنّة خير من كثير في بدْعة، كيف يقل عملٌ مع تقوى؟"[81].

وجاء عن بعض المشايخ: "يطرق سمعي علم من علوم أهل الحقائق، فلا أدعه أن يدخل قلبى إلا بعد أن أعرضه على الكتاب والسّنة"[82].

فعلماء التصوف يؤكدون على أصالة مشربهم، وضرورة التقيد بالكتاب والسنة في المقامات والأحوال التي يبحثون فيها، كما ورد عنهم الكثير من النقول التي تحذر عن البدع والمخالفات التي يقع فيها من لم يتقيد بهذه الأصول، والذي يعنينا هنا هو بيان أصولهم من خلال أقوالهم، وأن ما يتوجه من لوم إلى التصوف هو خارج عما قرره علماء التصوف أنفسهم.

(79)حلية الأولياء 1/10.
(80)طبقات الصوفية للسلمي ص 365.
(81)صفة الصفوة لابن الجوزي 627/2.
(82)اللمع للطوسي ص 422.

الطرق الصوفية.

قال الجرجاني في التعريفات: "الطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات"[83] فالطريقة الصوفية في عُرف أهل التصوف السني عبارة عن مدارس دينية في التزكية والتربية متفرعة من بعضها ومرتبطة بواسطة السند المتصل، وجميعها تتبنى عقيدة أهل السنة والجماعة منالأشاعرة والماتريدية وبعض من أهل الحديث، وتتبع المذاهب الأربعة، وهي تحرض شيخها أن يكون له مريدون وأتباع، وينتظم أتباعها في ممارسة تعبدية جماعية، فيكون لها أورداها وأذكارها وسلك نظامها الدقيق.

والاختلاف بينها إنما هو في طريقة التربية والسلوك إلى الله، ولذلك يقررون أن شأن اختلاف الطرق في هذا كشأن المذاهب الفقهية واختلاف الأئمة والمحدثين، فقد اتفقوا في الأصول واختلفوا في الفروع وهذا الاختلاف ليس فيه من حرج شرعي بل هو رحمة بالناس وتيسير على المسلم في أمور دينه، وكذلك أحوال الناس في أخلاقهم مختلفة وأرواحهم مختلف، منها ما هو طاهر ومنها ما هو خبيث ويختلفون بهذا فلذلك كان لابد من اتخاذ الأسلوب المناسب في التربية لك مسلم، كما كان يفعل ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم يأتي الرجل فيقول أوصني وكل مرة يوصي بوصية مختلفة وذلك حسب حال السائل ورسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب بصيرة ليس لها نظير فكان يعطي العلاج المناسب لكل سائل وكذلك حال الصالحين المرشدين الكمل الذين أنعم الله عليهم بالعلم والبصيرة فاختلفت أساليب التربية من شيخ لآخر ومن مريد لآخر ولكن الأصل الذي بنيت عليه الطرق واحد مستمد من الكتاب والسنة[84].

---

(83)التعريفات ص 141.

(84) من مقال بعنوان: تعدد الطرق الصوفية، للشيخ مخلف العلي القادري (بتصرف) على موقع مشيخة الطريقة القادرية العلية:

(ISSN : 2536 - 9555)

الاختلاف حول مسألة الطرق الصوفية.

وقد اختلف الناس اختلافا كثيرا حول الطرق الصوفية وحكم الانتماء إليها، فمنهم من ذهب إلى أنها بدعة في الدين لا خير فيها مطلقا، وعلى رأسهم أنصار المدرسة السلفية المعاصرة، ومنهم من قبلها بالكلية بدون النظر في مضامين هذه الطرق وهم فريق من المتصوفة أنفسهم، وبين هذين الطرفين وقفت على فتاوى متوازنة توضح حقيقة أمر هذه الطرق وحكم الانتماء.

فلقد تحدث الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق في كتابه بيان للناس عن الطرق الصوفية، فقال: "إن التصوف والطرق الصوفية أمر قديم، وقد كثر الكلام حوله تارة بالتأييد وتارة بالتجريح، لكن المقياس الصحيح الذي يجب أن تقاس به الأفكار والسلوك، وتوزن به هذه الطرق وكل التشكيلات المنسوبة إلى الدين هو قوله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64)} [يونس: 62 – 64]، وقوله: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } [الأنعام: 153]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[85]. فإن كانت الطرق الصوفية ملتزمة بالدين عقيدة وشريعة فهي محمودة، وينبغي تشجيعها، وإن انحرفت فهي مذمومة ويجب تقويمها، والتقويم يكون على المنهج الذي رسمه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ

---

http://alkadriaalalia.com/play.php?catsmktba=97، وبحث "التصوف ودوره في نشر الإسلام في أفريقيا" د محمد عثمان صالح ص 366 بتصرف –وهو منشور ضمن أعمال ملتقى التصوف الإسلامي العالمي بلبيبا 1995م ط جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والموسوعة الحرة ويكيبديا.

(85)متفق عليه: البخاري (2697)، ومسلم: (1718).

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125]، وذلك لنحول تلك الطاقات الهائلة إلى الإنتاج المثمر في كل مجال، إن الطرق الصوفية أشبه بالمدارس التربوية التي تضم إلى العلم والثقافة ممارسة عملية تطبيقية، فهي تنطلق في نشاطها على ضوء الفكر والوجدان، لأن علاقة المريدين (التلاميذ والطلاب) بشيخهم علاقة حب واحترام لا نجدها في أكثر المؤسسات التربوية الأخرى، وبهذا الرباط الروحي يمكن توجيههم بيسر وسهولة، وكانت لهم وقفات صامدة على مدى التاريخ في مقاومة الاستعمار وفي إقامة المنشآت الدينية. إلى أن قال: والمهم أن نتريث في الحكم على أي شيء، وأن نوازن بين الإيجابيات والسلبيات فكرا وسلوكا، وأن نحاول الإصلاح بالحكمة، دون العمل على الهدم من أجل الهدم، مع الحذر من خطورة الفراغ الروحي، والإسراع إلى ملئه قبل أن تغزوه الواردات الأخرى" [86].

وجاء في موقع دار الإفتاء الأردنية فتوى للشيخ الدكتور نوح علي سلمان رحمه الله جوابا على سؤال نصه: ما هو حكم الطرق الصوفية المنتشرة في بعض البلدان الإسلامية، وما هي حقيقة التصوف، وهل هناك تصوف معتدل؟

فأجاب: الطرق الصوفية متعددة المشارب والمناهج، فما وافق منها كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مقبول، وما خالف فهو مرفوض.

وأصل التصوّف هو تربية الإنسان ليطَبّق الأحكام الشرعية بالشكل الصحيح، ولينزع من نفسه الأخلاق الذميمة ويغرس الأخلاق الحميدة، ولهذا عرّف بعضهم التصوف بأنه العمل بالعلم، وعرّفوه بأنه التخلي عن الأخلاق الذميمة والتحلي بالأخلاق الحميدة.

(86) بيان للناس للشيخ جاد الحق 2/34،33.

(ISSN : 2536 - 9555)

وكبار أهل التصوّف يؤكدون على أنه لا يقبل من صوفي حال ولا مقال ما لم يوافق الكتاب والسنة، وقد شذّ قوم منهم عن هذه القواعد وابتدعوا ما لم يأذن به الله، وهذا عيب على المبتدعين لا على الصادقين من أهل التصوّف؛ فإنه ما من جماعة إسلامية إلا وشذّ فيها جماعة، ولا يجوز تحميل ذنب الطالح للصالح.

وفي هذا الزمن ظلم الصوفية من طائفتين:

الأولى: قوم تسمّوا باسمهم وأساءوا إليهم بتصرفات غير شرعية.

والثانية: قوم نظروا إلى شواذ الصوفية فهاجموا الصالح والطالح مع أن الله تعالى يقول: (قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) الأنعام/164، ويقول: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) الإسراء/35.

ولا شكّ أن في الصوفية هذه الأيام جماعة مستقيمة ملتزمة بالمنهج الصحيح، فمن بحث عنهم فوجدهم فقد ظفر بخير عظيم، ومن لم يجدهم ففي تعاليم الشريعة الإسلامية الواضحة ما يُغنيه[87].

وهذه الفتاوى تميزت بالتفرقة بين الأصيل الموافق لأصول الشريعة، وبين الشاذ الدخيل، ومن ثم يكون التعامل مع هذه الطرق دقيقا ومنصفا من خلال هذا التفريق المتوازن، حيث لا تقبل قول من قال بالتأييد المطلق لهذه الطرق لوجود طرق لا تلتزم بقواعد الشريعة، ولا بالرفض المطلق لوجود طريق تعمل على تهذيب النفوس وبناء الإنسان وفق قواعد الشرع الشريف، ومن أبرز هذه الطرق الأصول:

---

(87) من موقع دار الإفتاء الأردنية:

http://aliftaa.jo/Question3.aspx?QuestionId=2609#.XBg9-tvXLIU

القادرية، والنقشبندية، والرفاعية، والشاذلية، والدسوقية، وغيرها، وتتفرع منها طرق فرعية متكاثرة لا يكاد الباحث يستطيع إحصاءها.

التصوف والعمل السياسي

تعد الطرق الصوفية من أكثر التجمعات تأثيرا في النفوس على الإطلاق بسبب هذه الرابطة الروحية الخاصة التي تكون بين الشيخ وأتباعه، كما أنها كثيرة الأتباع كثيرة العدد، فيصل عددها في المنطقة العربية 280 طريقة تقريبا، ويوجد في مصر امتدادات لـ 77 طريقة من هذه الطرق مسجلة بالمجلس الأعلى للطرق الصوفية، بخلاف طرق أخرى غير مسجلة بالمجلس، ويبال عدد المريدين بمصر 6 ملايين حسب الطرق المسجلة فقط حسب تقرير نشره مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية[88].

وفي السودان توجد نحو40 طريقة صوفيَّة أثر بعضها في المسرح السياسي السوداني عبر عددٍ من الأحزاب السياسيَّة، كحزب «الأمة القومي» بزعامة «الصادق المهدي» الذي يستند على طائفة «الأنصار» المنبثقة من الثورة المهدية، و«الحزب الاتحادي الديموقراطي» والذي انبثق من طائفة «الختمية»، وكلتا الطائفتين صوفية الجذور، كما يعتبر حزب «المؤتمر الوطني» أكبر حاضنة لرموز الحركة الصوفيَّة.

وقد شاركت بعض الطرق الصوفية في صياغة الدساتير في بعض البلدان، فالدستور يعتبر المرجع القانوني والسياسي لأي نظام حاكم، وبالتالي عندما تشارك الصوفية في وضع بنودها، هذا يعد تطورًا مهمًا لاعتبار الصوفية فاعلًا سياسيًّا في معادلة النظام الذي شاركت في كتابة دستوره، فعلي سبيل المثال، نجد أن

(88) بتاريخ 2017-8-3 وهو بعنوان خريطة الطرق الصوفية وتطوراتها في مصر
http://acpss.ahram.org.eg/News/16365.aspx

(ISSN : 2536 - 9555)

الطريقة النقشبندية (من كبرى الطوائف الصوفية عددًا) في تركيا، لعبت دورًا مهمًا في صياغة دستور عام 1982، كما كانت محل اهتمام الحكومات التركية المتعاقبة لتمرير قراراتها السياسية

وقد كانت لها منذ قرون تأثير على الواقع يحسب الولاة له حسابا، ويحرصون بناء عليه على تقريبها أو مجاملتها، لا سيما وهي لا تدخل مع الحكام في صراعات على السلطة في الأساس.

وبعد التحولات السياسية الأخيرة في مصر، ثورة 25 يناير 2011 شهدت الطرق الصوفية تطورا سريعا إبان تسلق التيارات الإسلامية لسدة الحكم، حيث لعبت الحركة الصوفية دورًا سياسيًّا متناميًّا بعد ثورة يناير 2011 حيث شكلت الحركة الصوفية العديد من الائتلافات والأحزاب السياسية حيث قام "مصطفى زايد" سكرتير الطريقة الرفاعية بتأسيس "ائتلاف شباب الصوفية" على غرار "ائتلاف شباب الثورة"، وقد انخرط هذا الائتلاف في العديد من الاستحقاقات الانتخابية ما بعد ثورة 25 يناير، وفي سبتمبر 2011 وافقت لجنة الأحزاب السياسيَّة على تأسيس حزب «التحرير المصري» أول حزب صوفي في مصر برئاسة «إبراهيم زهران»، والهدف من الحزب بحسب ما قالته «الطريقة العزمية»، هو الدخول في المجال السياسي، فضلًا عن حزب النصر الذي تم انشاؤه في أكتوبر 2011 ويضم أطيافًا عدة من الطرق الصوفيَّة.[89]

(89) ملخصا من: الدور الدور السياسي للصوفيَّة.. طبيعته وتقييمه ومستقبله للكاتبة نورا بنداري – منشور في موقع المرجع للدراسات الأبحاث الاستشرافية حول الإسلام الحركي، وتقرير مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية بعنوان: الصوفية والسياسة في مصر، لعمرو رشدي http://acpss.ahram.org.eg/News/16361.aspx

الفصل الرابع

في التعريف بالسلفية

مفهوم السلف في اللغة [90]:

يطلق السَّلَفُ ويراد منه عدة معان، منها: كُلّ شَيْءٍ قدَّمه العبدُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ أَو وَلَدٍ فَرَط يُقَدِّمه، فَهُوَ لَهُ سَلَفٌ، وَقَدْ سَلَفَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ. وَمِنْه قَوْله فِي الدُّعَاء للطفل "اجْعَلْهُ لنا فرطا وسلفا" أَي مُتَقَدما نجده فِي الْآخِرَة.

ويراد به أيضا: (مَن تَقدَّمك من آبَائِك وذَوِي قَرابَتك الَّذين هم فوقَكَ فِي السنّ والفَضْل، واحدهم سالِف، وَمِنْه قولُ طُفَيل الغَنَويّ يرثي قومه:

مَضَوا سَلَفاً قَصْدُ السبِيل عليهمُ***وصَرْفُ المنَايا بالرِّجال تَقَلَّبُ.

أَرَادَ أَنهم تقدَّمونا وقَصْدُ سبيلنا عَلَيْهِم، أَي: نَموت كمَا ماتُوا فنَكون سلَفاً لمن بعدَنا كَمَا كَانُوا سلَفاً لنا.

وَقَالَ الفرّاء فِي قولُ الله جلّ وعزّ: { (أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ} (الزخرف: 56)، يَقُول: جعلناهم سَلَفاً متقدِّمين ليتّعظ بهم الآخِرون).

ولهذا سُمِّيَ الصدْر الأَول مِنَ التَّابِعِينَ السَّلَف الصَّالِحَ؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ مَذْحِجٍ: "نَحْنُ عُبابُ سَلَفِها"، أَي: مُعْظَمها وَهُمُ الْمَاضُونَ مِنْهَا.

فكل عصر سبق غيره فهو له سلف، ويكون ما بعده خلف بالنسبة له.

---

(90) انظر: تهذيب اللغة (12/ 299)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (2/ 219)، لسان العرب (9/ 159)، تاج العروس (23/ 455)، الكليات للكفوي (ص 511).

(ISSN : 2536 - 9555)

السلف في الاصطلاح:

لكلمة السلف معنى اصطلاحي يدل على مرحلة زمنية محددة وهي خير القرون –القرون الثلاثة الأولى– كما ورد في الحديث الشريف الذي أخرجه الشيخان في صحيحهما "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"[91].

والمراد بالقرن هنا هو المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك العصر، قال ابن الأثير: (والقرْن: أَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ، وَهُوَ مِقْدار التَّوَسُّط فِي أَعْمَارِ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ. مَأْخُوذٌ مِنَ الاقْتران، وَكَأَنَّهُ المِقدار الَّذِي يَقْتَرِن فِيهِ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي أَعْمَارِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ) [92].

فقرن النبي صلى الله عليه وسلم هو عصر الصحابة، ثم عصر التابعين، ثم عصر أتباع التابعين.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (وَالْقَرْنُ أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ مُتَقَارِبٍ اشْتَرَكُوا فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَقْصُودَةِ وَيُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِمَا إِذَا اجْتَمَعُوا فِي زَمَنِ نَبِيٍّ أَوْ رَئِيسٍ يَجْمَعُهُمْ عَلَى مِلَّةٍ أَوْ مَذْهَبٍ أَوْ عَمَلٍ وَيُطْلَقُ الْقَرْنُ عَلَى مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ وَاخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِهَا مِنْ عَشَرَةِ أَعْوَامٍ إِلَى مِائَةٍ وَعِشْرِينَ) إلى أن قال (وَالْمُرَادُ بِقَرْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحَابَةُ) وشرح معنى قوله صلى الله عليه وسلم ("ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ" أَيِ الْقَرْنُ الَّذِي بَعْدَهُمْ وَهُمُ التَّابِعُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ وَهُمْ أَتْبَاعُ التَّابِعِينَ وَاقْتَضَى هَذَا الْحَدِيثُ أَنْ تَكُونَ الصَّحَابَةُ أَفْضَلَ مِنَ التَّابِعِينَ وَالتَّابِعُونَ أَفْضَلَ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ) [93].

---

(91) صحيح البخاري 3/5 ح 3651، ومسلم 1963/4 ح 1963.

(92) النهاية في غريب الحديث والأثر 51/4.

(93) فتح الباري 5/7–6.

ولذلك يعرف الحنبلي السفاريني مذهب السلف بأنه اتباع لما كان عليه أهل القرون الخيرية الثلاثة المذكورة، حيث قال (الْمُرَادُ بِمَذْهَبِ السَّلَفِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ – رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ – وَأَعْيَانُ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَأَتْبَاعُهُمْ وَأَئِمَّةُ الدِّينِ مِمَّنْ شُهِدَ لَهُ بِالْإِمَامَةِ، وَعُرِفَ عِظَمُ شَأْنِهِ فِي الدِّينِ، وَتَلَقَّى النَّاسُ كَلَامَهُمْ خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ، دُونَ مَنْ رُمِيَ بِبِدْعَةٍ، أَوْ شُهِرَ بِلَقَبٍ غَيْرِ مَرْضِيٍّ مِثْلِ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْكَرَّامِيَّةِ، وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ) [94] ويلاحظ أن هذا الوصف يكاد يتطابق مع مدلول مصطلح أهل السنة والجماعة، فكأن مذهب السلف هو مرادف لقولنا مذهب أهل السنة.

فالسّلف شرعا كل من يُقَلّد ويقتفى أَثَره فِي الدّين كَأبي حنيفَة وَأَصْحَابه، فَإِنَّهُم سلفنا، وَالصَّحَابَة فَإِنَّهُم سلفهم[95].

وهذا يفيد أن كل من يقلد أئمة القرون الثلاثة الخيرية يكون مقتديا بالسلف بدون تقييد ولا تمييز.

إذاً: فالسلف لها معنيان: معنى خاص: وهم خيار هذه الأمة ابتداء من عصر الصحابة إلى يومنا هذا، والمعنى الآخر: هم من كان على هذا النهج وإن كان من المعاصرين.

بداية تميز طائفة باسم السلفية.

إن لظهور تيار يختص بهذا الاسم امتداد يعود إلى العهد العباسي بعد سلسلة من المعارك الفكرية والعقائدية العنيفة، التي أدت بدورها إلى أن يصف جماعة من الحنابلة أنفسهم بذلك.

(94) لوامع الأنوار البهية (1/ 20).
(95) الكليات (ص: 511).

(ISSN : 2536 - 9555)

فقد ظهر تيار الحنابلة في القرن الرابع الهجري وزعموا أن جملة آرائهم تنتهي إلى الإمام أحمد بن حنبل، الذي أحيا عقيدة السلف وحارب دونها، ثم تجدد ظهورهم في القرن السابع الهجري على يد شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم ظهروا في القرن الثاني عشر الهجري على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وما زال الوهابيون ينادون بها إلى اليوم(96).

كما أنهم يقررون أنهم الفرق الناجية استنادا على أنهم المعنيون بالحديث الشريف «تَفْتَرِقُ أُمَتِي عَلَى ثَلاَث وَسَبْعِينَ ملة؛ كُلهُم في النارِ، إلا مَلّة وَاحِدَة» قالوا: مَن هي يا رسول الله؟ قال: «مَا أَنَا عَلَيْه وَأَصْحابي» إذ يُطلق على كلِّ من اقتدى بالسَّلف الصالح، وسار على نهجهم في سائر العصور " سَلَفِيّ " نسبة إليهم، وتمييزا بينه وبين من يخالفون منهج السَّلف ويتبعون غير سبيلهم. قال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115] ولا يسع أَي مسلم إلا أَن يفتخر بالانتساب إليهم. ولفظ " السَّلفيَّة " أَصبح علما على طريقة السلف الصَّالح في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه، وبهذا فإنَّ مفهوم السَّلفيَة يطلق على المتمسكين بكتاب الله، وما ثبت من سُنَّة رسول الله– صلى الله عليه وعلى آله وسلم– تمسكا كاملا بفهم السَّلف(97).

ولذلك وقع اللغط الشديد حول الاعتراف بخصوصية هذا اللقب لهذه الطائفة على وجه الخصوص، فكثر الأخذ والرد في هذه المسالة.

ومن أشهر وأهم الانتقادات لهذا التخصيص كتاب العلامة محمد سعيد رمضان البوطي كتابه (السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي) حيث بين فيه أن

(96) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص 211.
(97) الوجيز في عقيدة السلف الصالح،عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص 32.

السلفية هي الاقتداء بالسلف والتابعين وتابعيهم وليست استحداث مذهب خاص في الأصول والأحكام يتميز عن بقية المذاهب السنية الأخرى[98]. وإلى هذا يجنح أكثر العلماء وأتباع المذاهب اليوم.

بينما يذهب أصحاب التيار السلفي المعاصر إلى التمسك بهذا اللقب لأن فيه تمييزا لهم عن المسلمين الذين لا يتبعون الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح وإن تسموا بالإسلام والسنة[99]. ولأنهم يتمسكون بالقدوة في هذه الأمة، وهم الرواد الذين رسموا منهج العقيدة على ضوء الكتاب والسنة؛ العلمي والعملي، وهذا لا يمكن أن يكون واضحاً وبيناً إلا بقدوة؛ لأن الإسلام ليس مجرد نظريات أو علوم بل الإسلام منهج حياة يتمثل بأمة بأفرادها وعلى رأسها العلماء ومن دونهم؛ فنظراً لأن القدوة أصل في رسم معالم العقيدة وبيان مسلماتها، فلابد أن نتعرف على أول قدوة منهم، وهم السلف الصالح، ومن جهة أخرى فلا مانع أن يطلق هذا الوصف أيضاً من باب التوسع في الوصف كما هو معروف عند تقرير الاصطلاحات، فيطلق هذا الوصف على كل من التزم هذا المنهج وإن كان معاصراً، فهو سلفي بمعنى أنه على نهج السلف[100].

وعلى كل حال فقد تحولت هذه النزعة الخاصة بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى تيار إسلامي عريض يشمل الكثير من الحركات الإسلامية والمفكرين الإسلاميين يدعون فيه إلى العودة إلى نهج السلف الصالح كما يرونه، والتمسك به باعتباره يمثل نهج الإسلام الأصيل[101].

---

(98) انظر: السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص 253.

(99) انظر: لماذا اخترت المنهج السلفي لسليم الهلالي ص 42-44.

(100) مجمل أصول أهل السنة (1/ 5).

(101) انظر: الحالة السلفية المعاصرة فى مصر ص 59..

(ISSN : 2536 - 9555)

وعلى هذا فإن أتباع هذه النزعة لا يرون الحركة الوهابية في الفكر الديني سوى بعث للاتجاه السلفي المحافظ في الفكر الإسلامي وهو الاتجاه الذي يأخذ بظواهر النصوص الأصلية ويرفض البدع كلها وينفر من الفلسفة والتأويل[102].

ولهذا يقرر بعض منظريهم أن السلفية في العصر الحديث (أصبح اصطلاحا جامعا يطلق على طريقة السلف في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه، ولذا فلم يعد محصورا في دور تاريخي معين، ولكنه ممتد إلى العصر الحاضر، وبواسطته نصل إلى الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية) [103].

قواعد المنهج السلفي وخصائصه

وقد حددت بعض الأدبيات الحديثة قواعد وخصائص لهذا المنهج حسب وجهة نظرهم حددوها في النقاط التالية:

أولا: قواعد المنهج السلفي المعاصر.

1- الاستدلال بالكتاب والسنة والاعتماد عليهما في جميع مسائل الاعتقاد والتشريع والسلوك وقضايا المعرفة العامة.

2- الاسترشاد والاستمساك بفهم الصحابة والتابعين ومن التزم نهجهم من علماء الأمصار في كل عصر.

3- اتخاذ الكتاب والسنة ميزانا توزن به الأقوال والأعمال والاعتقادات.

4- استخدام الأدلة المنطقية والأقيسة العقلية المستنبطة من الكتاب والسنة.

---

(102) المصدر السابق: ص 67..

(103) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي د مصطفى حلمي ص 176.

.

5- نفي التعارض الحقيقي بين الأدلة الشرعية الصحيحة، سواء كانت عقلية أم نقلية.

6- رفض التأويل الكلامي والمبالغة في الاعتداد بالعقل وتقديمه على النقل.

7- عدم معارضة الوحي بعقل أو رأي أو قياس.

8- قبول أخبار الآحاد والعمل بها في العقائد والأحكام بلا استثناء منهجي.

ثانيا: خصائص المنهج السلفي:

أما خصائصه فتتلخص في الآتي:

1- الشمول: متمثلا في شمولية تناوله وعرض رسالته، وشمولية حركة دعاته، الفكرية والإصلاحية بالإضافة لشمولية النظر في أدلة أحكامه وعقائده.

2- التوسط والاعتدال بين المناهج الإسلامية والفلسفية الأخرى.

3- مواجهة البدع والتحذير منها.

4- نبذ الجمود الفكري والتعصب المذهبي.

5- الثبات على الحق والاتفاق في مسائل الاعتقاد.

6- الوضوح والبيان والسلامة من التناقض والاضطراب.

7- موافقة الفطر السليمة والعقول السديدة. [104]

---

(104) لخصها أحمد سالم في كتابه اختلاف الإسلاميين ص 38-39. من عدة أدبيات سلفية معاصرة ككتاب قواعد المنهج السلفي للدكتور مصطفى حلمي، وكتاب المنهج السلفي للدكتور مفرح القوسي، وكتاب ملامح رئيسية للمنهج السلفي للدكتور علاء بكر، وكتاب السلفية قواعد وأصول للدكتور أحمد فريد، وكتاب اليلفية وقضايا العصر لعبد الرحمن الزنيدي..

(ISSN : 2536 - 9555)

هذه هي أهم الملامح التي يمكن أن نقول إنها دعوى ودعوة السلفية المعاصرة اليوم، والتي تفرع منها تيارات عديدة ومدارس شتى صار لها أتباع في بلدان كثيرة، مع أن الأمر لا يخلو في واقع هذه التيارات من اختلافات فكرية بينها، تتفاوت قوة وضعفا؛ فمنها ما يمس العقيدة ومنها ما يمس الجانب الفكري والحركي، ولذا فمن الواجب أن نعرف بأهم هذه التيارات السلفية الموجودة في واقعنا المعاصر والتي تنادي –بشكل عام– بالمبادئ التي ذكرناها آنفا مع التنبيه على أننا لا نوافق ما يصل منها إلى التكفير واستحلال الدماء والعدوان على الأوطان، ولا ندرجه في الفصول الخاصة بقضية التعايش، إذ ليس من المنطقي اعتبار هذه التيارات مما يمكنها التفاهم والتعايش مع الآخر قبل ترك هذه التيارات لهذا الأسلوب، وهذا محل دراسات أخرى خاصة بهذا الموضوع.

اتجاهات التيار السلفي المعاصر:

1- التيار العلمي الدعوي:

وهي تتلخص في الاهتمام بالأمور العلمية التي تحقق تقرير قواعد الشريع عقيدة وشريعة وأخلاقا حسب وجهة نظرهم، وذلك من خلال نشر أدبيات ابن تيمية ومن سار على منهجه، من خلال إقامة المراكز، وإحياء نشر الكتب المؤيدة لذلك، فهو تيار يتميز بالتركير على العلوم الشرعية والابتعاد عن الممارسة السياسية[105]

ومن مراجعهم الأساسيين في مصر على سبيل المثال مشايخ الدعوة السلفية في المملكة العربية السعودية، ومشايخ جماعة أنصار السنة المحمدية، والشيخ محمد ناصر الألباني وغيرهم.

(105) انظر الحالة السلفية المعاصرة فى مصر ص 55.

2- التيار الحركي (السلفية الحركية)

وهو في الواقع مزيج من الفكر السلفي وفكر سيد قطب، وقد عرف هذا المزيج الفكري بالسلفية السرورية نسبة إلى محمد بن سرور بن نايف[106]، وكان أحد القيادات الإخوانية السورية، والذي انتقل للإقامة بالمملكة العربية السعودية فمثل انتقاله نقطة تحول كبرى في تاريخ الحركة الإسلامية في المملكة العربية السعودية منذ سبعينات القرن المنصرم، حتى صارت حركته من أكبر التيارات المتواجدة في المملكة، وقد أحيط التيار منذ نشأته بالعديد من الهالات والانتقادات لموقفها الفكري والأيديولوجي.

ويمكن أن نعتبر كتاب "أهل السنة والجماعة معالم الإنطلاقة الكبرى"للشيخ محمد عبد الهادي المصري هو الرافد الأساسي للفكر السروري، وهو تيار يعتمد على رافدين أساسيين:

1- رافد فكر ابن تيمية
2- رافد فكر سيد قطب.

(106) محمد سرور بن نايف زين العابدين من مواليد 1938 غادر من سوريا بعد نكبة الإخوان المسلمون في الستينات وذهب إلى السعودية وأصبح مدرساً في المعهد العلمي في بريدة في منطقة القصيم نشأ محمد سرور اخوانياً تربى في جماعة الإخوان المسلمين ثم لما حصل انشقاق الجماعة في سنة 1969م مال إلى جناح عصام العطار، ثم انتقل إلى السعودية وهنا تطعم فكره الإخواني بسلفية انتهت إلى تشجيع الشباب على المعارضة المسلحة والجهاد والذهاب إلى أفغانستان، وفي الأردن لعب دوراً في نشر السلفية الجهادية بين الشباب. ومن أبرز من تتلمذ علي يديه في تلك الفترة الشيخ سلمان العودة . انتقل بعدها إلى الكويت ثم إلىبريطانيا وهناك أسس مركز دراسات السنة النبوية وأطلق مجلة السنة التي كانت ممنوعة في معظم الدول العربية. توفي فينوفمبر 2016. ويكيبيديا.

(ISSN : 2536 - 9555)

ومنه انبثقت أيضا –مع اختلاف يسير– أفكارُ العمل الحزبي السلفي كالدعوة السلفية بالأسكندرية وحزب النور السلفي في مصر وغير ذلك من أوجه الحركة التي لم تعهدها السلفية العلمية أو تميل إليها، إلا أن ما يجمع التيارات الحركية هو التأكيد على أهمية العمل الجماعي التنظيمي، وفي هذا ألف صلاح الصاوي كتابه "مدى شرعية الانتماء إلى الأحزاب والجماعات الإسلامية" [107].

كما أنها تدعو إلى المرونة والأخذ بكل ما يحقق مصالح المسلمين ويوفر لهم عناصر القوة بكل أنواعها ينبغي أن نرتقي إليه، هذا هو جوهر السلفية للتعامل مع العصر، لا كما يحصل من بعض الناس ممن يستسلمون أمام البعد الحضاري الشاسع بيننا وبين الكفار في هذا الزمان، فلا يقوى أحدهم على مواجهة الواقع الذي يتحداه، لكنه يهرب منه بشتى الأحلام، فيرى أننا مسلمون وموحدون، وحينما نحارب الكفار يظن أنه ستنزل علينا معجزة من السماء، وتنزل معنا الملائكة تحارب حتى لو قاتلناهم بالرماح والسهام والسيوف، وسوف نغلبهم لأننا موحدون، كلا، فأنت بهذا الظن بالآية ولا احترمت الأسباب، حيث قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال:60]....

فلا ينبغي أن نتوقع أن ينصر الله دينه بكلمة (كن)، وقد جرت سنة الله بأنه لا بد من الابتلاء، ولابد من الجهاد والبذل في سبيل هذا الدين، أما مجرد النوم والأماني فذلك يعني الهروب من مواجهة الحقيقة[108].

(107) انظر: اختلاف الإسلاميين ص62–64و88، ومقال بعنوان "كيف شكل الإخوان بدايات التيار السعودي" لإسلام المراغي، نشرته مجلة إضاءات بتاريخ 2016/11/27.
(108) سلسلة الإيمان والكفر للدكتور محمد إسماعيل المقدم (29/ 3).

3- السلفية المدخلية.

وقد نشأ هذا التيار في المملكة العربية السعودية إبان حرب الخليج كرد فعل للتيار المعارض للسياسة السعودية في الاستعانة بالقوات الغربية لرد غزو العراق للكويت.

وسميت المدخلية نسبة لربيع بن هادي المدخلي أستاذ الحديث السابق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ويتميز هذا التيار بوجوب طاعة الحكام واعتبار جماعة المسلمين هي الدولة، ولا تترد في وصف التيارات الحركية السلفية بالبدعة في أحسن الأحوال لممارستهم الأعمال الحزبية، وهو تيار مضاد للتيار الحركي السلفي، لأنه تعتبر كما قلنا الجماعة المسلمة هي الدولة والسلطان، ومن هذا الأصل والمنطلق تشن هجومها الحاد على الجماعات الإسلامية والحزبيةلأنها ضد مفهوم الجماعة – في رأيهم – ومن ثم فهم خوارج ومبتدعة في الدين، تجب معاداتهم ومحاربتهم ويجوز قتلهم. فالهدف الرئيسي عند المداخلة يتمثل في إنهاء الفرقة في الأمة والتفافها حول سلطانها، وبالتالي فإن العمل الحزبي يعيق من تحقيق هذا الهدف، كما أنهم يعتبرون أن الانتخابات ونحوها من الأساليب المعاصرة في الترشيح ليست السبيل للنصرة ولا التمكين، بل إن بعضهم يفتي بإهدار دم من يترشح أما الحاكم لو سمح الحاكم بذلك.

ولهذا التيار حضور في عدد من البلدان منها المملكة العربية السعودية ومصر وليبيا وغيرها من البلدان[109].

وهذه هي أهم التيارات التي تمثل الحضور السلفي في واقعنا المعاصر.

---

(109) انظر: اختلاف الإسلاميين 114-117.

(ISSN : 2536 - 9555)

الفصل الخامس

التيارات الإسلامية السياسية

تعرف الحركة الإسلامية بأنها هي تلك التي تقوم على قراءة معينة للإسلام والنصوص القرآنية الكريمة تنظر من خلالها للأفراد والمجتمعات والدول من منظور صحة العقيدة فقط مع التأكيد على أهمية العمل الجماعي التنظيمي، لتغيير خلل ما في وجهة نظرهم[110] وهذا لا يختلف كثيرا عن عموم مفهوم الحركة السياسية أو الاجتماعية، وقد عرفها هيربرت بلومر وهو أحد العلماء المهتمين بالسلوك الجمعي بأنها في التحليل الأخير تعد بمثابة: سلوك جمعي يعبر عن عدم الكفاءة الاجتماعية أو القلق والاضطراب الاجتماعي في أثناء نموها، ومن ثم فإنها تتضمن كل مظاهر السلوك الجمعي. ويعرفها د/ رفعت سيد أحمد بأنها بمثابة جهد جماعي ومطلب مشترك بين جماعة من الناس يعملون معا، بوعي، وباستمرار على تغيير بعض أو كل أوجه النظام الاجتماعي والسياسي القائم[111].

ومع اتفاقهم على العمل المشترك وفق تجمع وتنظيم معين، وهو الأمر الذي يفارقون به الجماعات الدينية التي لا تؤمن بهذا، فإن بين هذه الحركات تباينات من حيث التطرف وعدمه والعالمية والمحلية يوجب على الباحث أن يأخذها في عين الاعتبار. وهذه الدراسة لن تشمل الحركات ذات الطابع التكفيري أصالة، إذ المقصود هو محاولة إيجاد الروابط المشتركة بين الحركات والجماعات التي لا توجب خلافاتهم ما يصل إلى إعلان التكفير للغير!

---

(110) انظر: اختلاف الإسلاميين ص62-64و88، ومقال بعنوان "كيف شكل الإخوان بدايات التيار السعودي" لإسلام المراغي، نشرته مجلة إضاءات بتاريخ 2016/11/27، ومدخل عام لفهم الحركات الإسلامية المعاصرة.

(111) **http://thepersiangulf.weebly.com/17210809880-10074107710901**

وأشهر الجماعات الحركية التي ظهرت –في الأصل– كحركة سلمية، ولا تشهر السلاح إلا في وجه المعتدي على البلاد هي تيار أو جماعة الإخوان المسلمين.

تعريف بحركة الإخوان المسلمين[112]:

تعد جماعة الإخوان المسلمين كبرى الحركات الإسلامية السياسية في المنطقة العربية، وكان لها تأثير ملحوظ على المستويات الفكرية والاجتماعية والسياسية في معظم البلدان العربية وغيرها، وقد تضاعف هذا التأثير بعد ثورة 25 يناير 2011.

وقد مرَّ تنظيم الإخوان بمراحل عدة، كانت المرحلة الأولى في الإسماعيلية أثناء عمل حسن البنا في هذه المنطقة، واستمرت هذه المرحلة بين عامي 1928 و،1932 وخلالها كان التنظيم يدور حركة وفكراً حول حسن البنا. وصيغ في هذه المرحلة أول قانون ينظم الشكل الإداري والتنظيمي لهذه الجماعة، فصدر أول قانون تنظيمي للجماعة في ربيع الأول 1353 هـ/ 1934م. وقد اختلفت الآراء حول المصادر التي اعتمد عليها البنا في بناء هيكل جماعته التنظيمي، فقد رأى البعض أن هذا التنظيم استلهم حسن البنا روحه عن الطريقة "الشاذلية."

البعض الآخر رأى أن تنظيم الإخوان، خصوصاً التنظيم السري، قد اكتسبه حسن البنا بعد دراسة متعمقة للحركات السرية التي نشأت في الدولة الإسلامية في عهد بني أمية. وهناك رأي ثالث يرى أن حسن البنا استفاد مما جد من حركات في الغرب، عندما أوضح "أن المؤسسين اطلعوا على جميع الأنظمة التي تيسر

---

(112) ملخصا من الإخوان المسلمون: دليل الحركات الإسلامية في العالم لضياء رشوان ص 27، والنشأة والأفكار والنظام ليسري العزباوي– منشور في الخليج الإماراتية https://middle-east-online.com، وموقع أنا إخوان: http://ana-ikhwan.blogspot.com/2008/05/blog-post_27.html.

(ISSN : 2536 - 9555)

لهم الاطلاع عليها، حيثما كانت، إسلامية أو غربية، درسوها دراسة دقيقة، وأخذوا منها ما يلائم الدعوة.

المنطلقات الفكرية للجماعة

مازال لدى جماعة الإخوان المسلمين مواقف فكرية غامضة في العديد من منطلقاتهم، على الرغم من تناولها في كتابات حسن البنا أو شيوخ الجماعة. وما جاء في الوثيقة المعنونة "النظام العام للإخوان المسلمين" حيث قالت معربة عن أهدافها ووسائلها:

الإخوان المسلمون هيئة إسلامية جامعة، تعمل لإقامة دين الله في الأرض، وتحقيق الأغراض التي جاء من أجلها الإسلام الحنيف، ومما يتصل بهذه الأغراض:

أ- تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة وإلى المسلمين خاصة، وشرحها شرحًا دقيقًا يوضحها ويردها إلى فطرتها وشمولها، ويدفع عنها الأباطيل والشبهات.

ب- جمع القلوب والنفوس على مبادئ الإسلام، وتجديد أثرها الكريم فيها، وتقريب وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية.

ج- العمل على رفع مستوى المعيشة للأفراد وتنمية ثروات الأمة وحمايتها.

د- تحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعي لكل مواطن، ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة، وتشجيع أعمال البر والخير.

هـ- تحرير الوطن الإسلامي بكل أجزائه من كل سلطان غير إسلامي، ومساعدة الأقليات الإسلامية في كل مكان، والسعي إلى تجميع المسلمين حتى يصيروا أمة واحدة.

و- قيام الدولة الإسلامية التي تنفِّذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليًّا، وتحرسها في الداخل، وتعمل على نشرها وتبليغها في الخارج.

ز- مناصرة التعاون العالمي مناصرة صادقة في ظل الشريعة الإسلامية التي تصون الحريات وتحفظ الحقوق، والمشاركة في بناء الحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة، كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة.

وأما عن الوسائل فقد جاء في "النظام العام للجماعة" ما يلي:

يعتمد الإخوان المسلمون في تحقيق هذه الأغراض على الوسائل الآتية:

أ- الدعوة: بطريق النشر والإذاعة المختلفة من الرسائل والنشرات والصحف والمجلات والكتب والمطبوعات وتجهيز الوفود والبعثات في الداخل والخارج.

ب- التربية: لتطبع أعضاء الجماعة على هذه المبادئ، وتعكس معنى التدين قولاً وعملاً في أنفسهم أفرادًا وبيوتًا، وتربيتهم تربية صالحة؛ عقيديًّا وفق الكتاب والسنة، وعقليًّا بالعلم، وروحيًّا بالعبادة وخلقيًّا بالفضيلة، وبدنيًّا بالرياضة، وتثبيت معنى الأخوة الصادقة والتكامل التام والتعاون الحقيقي بينهم؛ حتى يتكون رأي إسلامي موحد، وينشأ جيل جديد يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا، ويعمل بأحكامه ويوجه النهضة إليه.

ج- التوجيه: بوضع المناهج الصالحة في كل شئون المجتمع من التربية والتعليم والتشريع والقضاء والإدارة والجندية والاقتصاد والصحة والحكم، والتقدم بها إلى الجهات المختصة، والوصول بها إلى الهيئات السياسية والتشريعية والتنفيذية والدولية لتخرج من دور التفكير النظري إلى دور التنفيذ العملي، والعمل بجد على تنقية وسائل الإعلام مما فيها من شرور وسيئات والاسترشاد بالتوجيه الإسلامي في ذلك كله.

د- العمل: بإنشاء مؤسسات تربوية واجتماعية واقتصادية وعلمية، وتأسيس المساجد والمدارس والمستوصفات والملاجئ والنوادي، وتأليف اللجان لتنظيم الزكاة والصدقات وأعمال البر والإصلاح بين الأفراد والأسر، ومقاومة الآفات الاجتماعية والعادات الضارة والمخدرات والمسكرات والمقامرة، وإرشاد الشباب إلى طريق

(ISSN : 2536 - 9555)

الاستقامة، وشغل الوقت بما يفيد وينفع ويستعان على ذلك بإنشاء أقسام مستقلة طبقًا للوائح خاصة.

هـ- إعداد الأمة: إعدادًا جهاديًّا؛ لتقف جبهة واحدة في وجه الغزاة والمتسلطين من أعداء الله، تمهيدًا لإقامة الدولة الإسلامية الراشدة.

ومع ذلك فإن الأحداث السياسية الماضية جعلت من هذا المبادئ النظرية الدعوية أمرا محيرا يصل إلى التناقض في كثير من الأحيان عند نزولها إلى الواقع. أما موقف الجماعة من الديمقراطية والدستور والأحزاب فيتضح من خلال أقوال شيوخهم، حيث أكد عمر التلمساني: "أننا نقف مع الأحزاب كلها موقف الاحترام الحر لرأي الآخرين، وإذا كنت حريصاً على أن يأخذ الناس برأيي، فلماذا أحرم على الناس ما أبيحه لنفسي؟ كما يقول محمد حامد أبو النصر في حديثه لمجلة "العالم" الذي تصدّره عنوان "نريدها ديمقراطية شاملة وكاملة للجميع". وأما فريد عبدالخالق في كتابه "الإخوان المسلمون في ميزان الحق"، فيفرد الباب الثاني ل "فكر ومفاهيم الجماعة"، وتحت عنوان "دعائم الحكم الإسلامي"، يقول: فإذا تعذر وقامت المصلحة العامة بقيام التعددية الحزبية فإن الإسلام يسعها."

الهيكل التنظيمي والتدرج داخل الجماعة:

حددت المادة التاسعة من قانون النظام الأساسي لهيئة الإخوان المسلمين الهيئات الرئيسية بأنها المرشد العام، ثم مكتب الإرشاد العام، ثم الهيئة التأسيسية.

أ- المرشد العام: هو الرئيس الأعلى للهيئة كما أنه رئيس مكتب الإرشاد العام والهيئة التأسيسية. أيضا حدد القانون السابق، الشروط التي يجب توافرها فيمن يختار مرشداً، فلا تقل سنه عن ثلاثين سنة هلالية، وأن تتوافر فيه الصفات العلمية والخلقية والعملية التي تؤهله لذلك.

أما طريقة انتخابه فقد حددها القانون، حيث ينتخب من بين أعضاء الهيئة التأسيسية في اجتماع يحضره على الأقل أربعة أخماس أعضاء هذه الهيئة. ويجب

أن يكون حائزاً لثلاثة أرباع أصوات الحاضرين، وإذا لم يحضر الاجتماع من يمثلون العدد القانوني أُجل إلى موعد آخر لا يقل عن أسبوعين، ولا يزيد على شهر من تاريخ الاجتماع الأول.

ب- مكتب الإرشاد العام، تكون عقب اجتماع لمجلس الشورى العام دعا إليه المرشد وعقد بمدينة الإسماعيلية يوم الخميس 22 صفر 135هـ/ 1933م. وتتمثل مهمة هذا المكتب في: أولاً، حراسة النظام العام للجماعة. ثانياً، الإشراف على الدوائر إشرافاً عاماً. ثالثاً، تنفيذ قرارات مجلس الشورى العام للإخوان ودعوته للانعقاد واتخاذ ما يلزم لذلك. رابعاً، حصر أعضاء الجماعة عموماً وتسهيل سبل الاتصال بين الدوائر والفصل في خلافاتها.

ج- الهيئة التأسيسية: كانت تقوم مقام الجمعية العمومية في سائر التنظيمات الأخرى، لأن الجمعية العمومية الحقيقية للإخوان لا سبيل إلى اجتماعها، لأنها تبلغ ملايين عدة، ومن ثم استعيض عنها بالهيئة التأسيسية لعدم توافر الإمكانيات المادية لاجتماع جميع الإخوان.

د- السكرتير العام: فهو يمثل مكتب الإرشاد العام والمركز العام للإخوان المسلمين تمثيلاً كاملاً في كل المعاملات الرسمية والقضائية والإدارية إلا في الحالات الخاصة التي يرى المكتب فيها انتداب شخص آخر بقرار قانوني منه.

هـ- أمين الصندوق: يقوم بأعمال ضبط أموال الهيئة، وحصر ما يرد منها وما ينصرف، ومراقبة كل نواحي النشاط المالي والحسابي، والإشراف على تنظيمها، وإحاطة المكتب علماً بذلك في فترات مناسبة وفي حالة غيابه أو تعذر قيامه بعمله ينتدب المكتب من بين أعضائه من يقوم بمهمته مؤقتاً.

العضوية والشعب داخل الجماعة:

وضعت الضوابط التي تحدد من هو العضو داخل الجماعة فهو كل مسلم عرف مقاصد الدعوة ووسائلها وتعهد بأن يناصرها ويحترم نظامها وينهض

(ISSN : 2536 - 9555)

بواجبات عضويتها ويعمل على تحقيق أغراضها، ثم وافقت إدارة الشعبة، التي ينتمي إليها على قبوله. وعلى حسب مراعاة تلك القواعد السابقة كان الأعضاء يقسمون إلى فئات: مساعدين ومنتسبين وعاملين ومجاهدين.

أما الشعبة فهي أصغر وحدة إدارية في الهيكل التنظيمي للجماعة، وقد بدأت تلك الشعب في التكوين منذ السنة الثانية لظهور الجماعة أي منذ العام 1929.

اللائحة الداخلية لجماعية الإخوان المسلمين

وهي لائحة لم يكن من السهل الاطلاع عليها حتى من أعضاء الإخوان أنفسهم، إلا من تدرج في الجماعة إلى درجة يمكن معها الثقة به وبولائه التام للجماعة، وهي تعكس مدى التنظيم الداخلي لهذه الحركة مما يفسر لنا قدرتها على التأثير الواسع في المنطقة العربية وغيرها، ويوضح وسببا من أهم أسباب تفوقها الحركي على التيارات الأخرى، وهذا عرض لأهم ما في هذه اللائحة:

المرشد العام

مادة– المرشد العام: هو مرشد الجماعة وممثلها، بالإضافة إلي مسؤولياته واختصاصاته طبقاً للائحة العامة، وهو الرئيس العام للجماعة في مصر ورئيس كل من مكتب الإرشاد ومجلس الشورى، وله حق حضور ورئاسة جميع أقسام وتشكيلات الجماعة وتنظيماتها، والمرجع في كل ما يتعلق به إلي اللائحة العامة.

مادة – للمرشد العام أن يخول نائبه الأول بعض اختصاصاته حسبما تقتضيه المصلحة وله أن ينيبه أو ينيب غيره من النواب في رئاسة مكتب الإرشاد أو مجلس الشورى أو غير ذلك من أقسام وتشكيلات الجماعة وتنظيماتها.

مكتب الإرشاد.

مادة– مكتب الإرشاد: هو الهيئة الإدارية والقيادة التنفيذية العليا وهو المشرف علي سير الدعوة والموجه لسياستها وإداراتها والمختص بكل شؤونها وبتنظيم أقسامها وتشكيلاتها.

يشترط فيمن ينتخب أو يعين عضواً بمكتب الإرشاد الآتي:

أ- أن يكون قد بلغ من العمر ثلاثين سنة.

ب- أن يكون قد مضت علي قبوله عضواً بالجماعة عشر سنوات علي الأقل.

ج- أن يكون عضواً بمجلس الشورى.

د- أن يكون متصفاً بالصفات الخلقية والعلمية التي تؤهله لمهام ومسؤوليات المكتب، ويستثني العضوان المقيمان بالخارج من شرط عضوية مجلس الشورى.

مادة - مدة عضوية المكتب:

أ- مدة عضوية مكتب الإرشاد أربع سنوات اعتباراً من تاريخ أول انعقاد للمكتب

بعد تمام إجراءات انتخابه علي ألا يتأخر ذلك عن خمسة عشر يوماً من بداية دورة مجلس الشورى التي تجري فيها الانتخابات وتكون مدة الأعضاء المعينين لنهاية مدة المكتب المنتخب أيا كان تاريخ تعيينه.

مادة - زوال العضوية :

تزول عضوية مكتب الإرشاد لأحد الأسباب الآتية:

أ- الوفاة.

ب- انتهاء مدة العضوية دون تجديدها.

ج- طلب الإعفاء ويجوز للمكتب قبول الطلب أو مراجعة العضو، ويعتبر طلب الإعفاء مقبولاً إذا لم يسحبه العضو خلال ستين يوماً من تاريخ تقديمه رغم مراجعة المكتب له.

د- فقد العضو الصلاحية لأسباب صحية أو غيرها، ويصدر قرار الإعفاء من مجلس الشورى باقتراع سرى بأغلبية عدد أعضائه بناء علي طلب مكتب الإرشاد أو عشرين عضواً من أعضاء مجلس الشورى بعد تحقيق تجربة لجنة التحقيق المشار إليها بالبند (م) من المادة اجتماعات مجلس الشورى

(ISSN : 2536 - 9555)

مجلس الشورى العام

مادة– مع عدم الإخلال بأحكام اللائحة العامة يكون مجلس الشورى هو السلطة التشريعية لجماعة الإخوان في مصر، ويكون مختصاً بمناقشة وإقامة السياسات العامة والوسائل التنفيذية اللازمة لها.

مادة – زوال العضوية:

تزول عضوية مجلس الشورى لأحد الأسباب الآتية:

أ– الوفاة.ب– انتهاء مدة العضوية دون تجديدها.ث– طلب العضو إعفاءه.ج– فقد الصلاحية لأسباب صحية أو غيرها، ويصدر القرار بالإعفاء من العضوية في هذه الحالة باقتراع سرى بأغلبية عدد أعضاء المجلس بعد تحقيق تجريه اللجنة المشار إليها في البند (م) من المادة اجتماعات مجلس الشورى.

مادة – شروط العضوية:

يشترط فيمن يختار عضواً في مجلس شورى المحافظة:

أ– ألا يقل سنه عن ثلاثين سنة.

ب . أن يكون قد مضي علي قبوله عضواً عاملاً بالجماعة خمس سنوات علي الأقل.

ج– أن يكون متصفاً بالصفات الخلقية والعلمية التي تؤهله لذلك.

مادة – مدة العضوية:

مدة عضوية مجلس شورى المحافظة أربع سنوات من التاريخ الذي يحدده مكتب الإرشاد لانتهاء إجراءات الاختيار في جميع المحافظات، ويسرى ذلك بحق الأعضاء الذين يقرر مكتب الإرشاد تعيينهم لمجلس شورى المحافظة أيا كان تاريخ التعيين. وفي حالة خلو مكان أحد الأعضاء المختارين، يختار الأعضاء العاملون من يحل محله طبقاً للقواعد والإجراءات المعتمدة في هذا الشأن من مكتب الإرشاد وفي جميع الأحوال يكمل العضو الجديد مدة سلفه.

التنظيمات الإخوانية الداخلية:

اهتمت الجماعة منذ بداياتها الأولى بالإسماعيلية بالجانب العسكري الجهادي، إيماناً بمبدأ الجهاد الذي أقره الدين الإسلامي، ومن هنا كان الشعار الذي عبرت به الجماعة عن نفسها وعن مراميها: "الله غايتنا والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا."

أ- الجوالة: تعتبر فرق الجوالة من أقدم الأنظمة التي تكونت على مر تاريخ الجماعة، ولم تنشأ فرق الجوالة مرة واحدة. بل كانت مرحلة تالية لمرحلة سابقة لها هي مرحلة فرق "الرحلات"، وكما يرى البعض لم يكن هدف حسن البنا من فرق الرحلات هذه إلا تكوين فريق عسكري يحقق فكرة الجهاد في الإسلام.

والجانب العسكري في تدريبات الجوالة ينقسم إلى أربع نواحٍ: الأولى منها تشمل التشكيلات النظامية وتأدية الحركات العسكرية بإتقان. والثانية استعمال السلاح وضرب النار بالبندقية والطبنجة وجميع ما يتبع ذلك ثم المناورات الحربية.

ب- نظام الكتائب: بدأ هذا النظام يظهر إلى حيز الوجود كمرحلة تالية لنظام الجوالة، في خريف 1937. ومن ناحية التنظيم فقد كانت الكتيبة تتكون من أربعين أخاً، وكانت الكتيبة تلتقي في ليلة معينة من الأسبوع لتمارس تدريباتها في تلك الليلة. أما بيعة الكتيبة فكانت مع الإمام الشهيد، ولم تكن تزيد على ثلاث كلمات: "العمل الطاعة الكتمان."

ج- التنظيم السري (الجهاز الخاص): اختلفت الآراء عن الفترة الزمنية التي تكون فيها الجهاز الخاص، فالبعض رأى أن الفكرة قد ولدت مع الدعوة في السنة الأولى لها. وقد تألف النظام الخاص من ثلاث شعب أساسية هي: التشكيل المدني، تشكيل الجيش وتشكيل البوليس، وألحقت بالنظام تشكيلات تخصصية مثل "جهاز التسليح" وجهاز الأخبار، وقد عمل الجهاز الأخير كجهاز استخباري للجماعة.

(ISSN : 2536 - 9555)

التنظيم الدولي:

تعود أول محاولة لإيجاد فرع خارجي لجمعية الإخوان إلى العام 1933 حين نجح البنا في تشكيل شعبة للإخوان في جيبوتي، وقد اتخذ المؤتمر الثالث للجماعة (1935) قراراً بتعميم الدعوة في الخارج بمختلف الوسائل. وتوسع الإخوان في النصف الثاني من أربعينات القرن الماضي، عقب المؤتمر العام (1945) في إنشاء الفروع وتأسيسها خارج مصر. وشكل الإخوان قسم الاتصال بالعالم الخارجي، وتم تقسيمه إلى ثلاث لجان: الأولى لجنة الشرق الأدنى، وتضم البلاد العربية والشعوب الإسلامية في إفريقيا. ثانياً، لجنة الشرق الأقصى وتشمل دول شرق آسيا ووسطها. ثالثاً، لجنة الإسلام في أوروبا.

منذ تأسيسه كانت كل خيوط التنظيم الدولي تبدأ وتنتهي عند الرجل الحديدي مصطفى مشهور، ولم يكن خافياً أن سلطته على هذا التنظيم كانت تفوق سلطة المرشد نفسه، سواء أكان عمر التلمساني أو محمد حامد أبو النصر. وإضافة إلى مشهور لا يمكننا إغفال دور سعيد رمضان في تكوين التنظيم الدولي للجماعة، فهو صاحب جهد كبير في هذا الصدد، حيث كان يتمتع بعلاقات قوية مع عدد من أنظمة المنطقة. كما هاجر بعد ذلك إلى أوروبا واستقر في سويسرا، حيث حصل على الجنسية السويسرية وأصدر مجلة "المسلمون" الشهيرة. كما أسس رمضان المركز الإسلامي في جنيف، الذي نجح في نشر الفكر الإخواني فيها، ليمتد التنظيم إلى أمريكا أيضاً حتى طال عدداً من الشخصيات المعروفة، مثل الأمريكي مالكولم إكس، الذي تأثر كثيراً بعلاقته برمضان فيتحول إلى عقيدة أهل السنة، ومن مركز جنيف الذي كان أول وأهم قاعدة للإخوان في أوروبا، انتشرت شبكة المراكز والمؤسسات الإخوانية الأخرى، وأهمها على الإطلاق المركز الإعلامي في لندن والمركز الإسلامي في ميونيخ بألمانيا.